# عباس محمود العقاد

# هدية الكروان

شعر

العقاد عاشق الكروان

دراسة

أحمد حسين الطماوي

obeikandl.com

# بطاقة فهرسة

حقوق الطبع محفوظة

مكتبة جزيرة الورد

اسم الكتاب: هدية الكروان - شعر

تأليف: عباس محمود العقاد

دراسة: أحمد حسين الطماوي

رقم الإيداع: ٢٠١٥/٢٤٧١

الطبعة الأولى

القاهرة: ٤ ميدان حليم - خلف بنك فيصل

شارع ٢٦ يوليو - من ميدان الأوبرا

٠١٠٠٠٠٠٤٠٤٦ - ٢٧٨٧٧٥٧٤

Tokoboko_5@yahoo.com

obeikandi.com

# الكروان

## مطرب العقاد

أحمد حسين الطماوى

نشأ الكروان فى مهد الطبيعة، وتربى فى الليالى الداجية يخفره الظلام، واتخذ من السماء ميداناً فسيحاً يجول فيه لسيبّح ويرتل وسكن أعالى الأشجار، وألِف صحبة الكواكب النيرة، وهى أقطاب الوجود، ولعله عرف فى مداراته ومعارجه مستسرات الكون، واستجلى الغامض المستور.

ونفر من الناس، ولم يلتمس العون منهم، كما التمسته طيور أخرى، وهجر المروج الملونة المندّاه، وانغمر فى العتمة، المنوّرة بالنجوم اللامعة، والبروق المشعة، وانتشى بمجالى الليل الفاتنة، وظل على هذا لا يدركه ملال.

وهو طائر لطيف الطبع، رقيق القلب، لا يهجم ولا يأثم مثل بعض الطيور، ولا ينتفض وينتفخ، ويكابر ويفاخر مثل الديك الرومى، وإنما فيه سلاسة وانكسار، وقد ترك النهار والعراك للصقور والنسور فوصفوه بالجبن، وآثر العزلة والاستكانة فنعتوه بالبؤس.

والكروان موسيقار الليل وحادى النجوم، يجاهر الساهر بعميق هتافاته، ويلاهيه بإيقاع مقاماته، ويناجى المسافر فى هدأة السحّر ويطيل معه لهاجه، فتهون متاعب المسافات، ويؤنس المؤرق القلِق الذى سخر منه النوم، فينال مسحة من الراحة بعد أن تسرى فى مساربه، وتنساب فى أحاسيسه الحانة.

ونظراً لانطوائه وانزوائه عن الناس، وطلوعه فى هزيع الليل المتأخر، وقت نوم الأقوام، لم ترقبه الأبصار، ولم تسمعه الآذان، فغمره النسيان ومضت عنه سرمدية الذكر والصيت، وسلاه الشعراء أو كادوا، وأوردوا فى أشعارهم القطاة، والقمرى، وغراب البين، والحمام النائح، والنسر الجارح، والبلبل الهادل، وغيرها من الطيور التى تواصلوا معها واحتلت مكاناً فى دواوينهم وأغانيهم.

حتى قُصاص الخرافات الذين حكوا عن الحيوان السائر، والحيوان الطائر مثل الجرذان والغراب وغيرهما، انصرفوا عن الكروان، فلم يأخذ دور البطولة فى حكاية، ولا دوراً أقل، وإنما ظل متوارياً فى الظل، وقد يكون معهم الحق، لأن هناك ألفة بين بعض الحيوانات والإنسان، أما الكروان فلا أليف له من غير جنسه.

وكنت أظن أن أشعار المتصوفة لا تخلو من ذكر الكروان، لأنهم أكثر حضوراً فى الليل من الطوائف الأخرى، وكانوا يستعينون بقهوة البن على السهر لإقامة الأذكار وتلاوة الأوراد، وترديد الكلام المبرور، إلى جانب الرقص والغناء، ولابد أنهم وهم فى الخانقاوات سمعوا هتاف الكروان وألفوا سماعه، ومع ذلك لم ينظم واحد من شعرائهم قصيدة فيه، وبخاصة أنه يجمعهم بالكروان فضاء واحد، يتوشج فيه إيقاع الذكر، ونغم الطائر، وربما كان مثلهم يتبتل ويتعبد فى الليل البهيم.

أضيف إلى هؤلاء وهؤلاء طائفة الشعراء العشاق الذين اضطرمت النار فى مهجهم، وأسهدهم الضنى والأسى، وعانوا من الوجد والبعد، وهدهدهم الظن والشك لوقوع الجفاء والهجر، وصارت أكبادهم حرّى لا يسرّى عنهم نبأ سار، أو زيارة خاطفة، ويلْحُون البين، وفى نفوسهم حسرات، كذلك هناك عشاق يلتقون فى الظلمات، ويتبادلون المسرات، وهؤلاء وهؤلاء هم سهارّة الليل، الذين لم يداعب النوم جفونهم، وأصغوا إلى الكروان وهو يمارس طقوس غنائه، ولم يقصِّدوا القصائد فيه.

وراجعت كتاب "المغنى المصرى" الذى أعده محمود حمدى البولاقى ونشره سنة ١٩٠٣، وأعاد طبعه الأستاذ أسامة عفيفى مع مقدمة من تأليفه فى سلسلة "ذاكرة الوطن" التى كان يشرف عليها، ويضم الأغانى التى كان يغنيها المغنون فى القرن التاسع عشر، فلم أجد شيئاً وكان اختيارى لكتاب الأغانى هذا على أساس أن أهل المغنى يغنون غالباً فى الليل، وهم من سهارة الليل ولا يملون من قول "يا ليل يا عين" وقطعاً أحسوا بالكروان ولكنهم لم يلحنوا ألحانه، أو ينشدوا إنشاده. ونظرت فى عشرات الدواوين فى عصور مختلفة لمشهورين ومغمورين ولم أعثر على شئ، وكأن خصومة وقعت بين الشعراء والكراوين.

فكل هذه الطوائف كان ينتظر منها أن تنشد للكروان، لأنهم جميعاً سهارى، ينشدون النعاس الناعم فيتأبى عليهم.

## الكروان:

وكرا أو كرى ذكر الكروان، والأنثى كروانة، والجمع كراوين وكِرْوان بكسر الكاف وتسكين الراء. وعند صيده يقال له على سبيل الخداع..

**أطرق كرا .. أطرق كرا  إن النعامة فى القرى**

وفى المعجمات العربية يتكرر هذا القول، ويقال أيضاً، إذا رآه قوم من بعيد "أطافوا، ويقول بعضهم أطِرق كرى، فإنك لا ترى، ما أرى هاهنا كرى، حتى يكون قريباً منه فيضربه بعصا، أو يلقى عليه ثوباً فيأخذه" لذلك يسمى الذكر طِرّيقاً بكسر الطاء وتشديد الراء وكسرها، وهى مجرد مزاعم، فهل يعرف الكروان الاسم الذى أطلقه الناس عليه، وهل هذه الكلمات إذا قيلت يسقط بالقرب منا، فنصطاده؟، لو صح هذا فإن الحياة تكون قد خلت من الكراوين، ولكن الكلمات السالفة تظهر أنه رعديد.

ويقول ابن فارس: سمى "كروان" لدقة ساقيه[1] وفى معجم "المنجد" هو "طائر من رتبة طوال الساق وفصيلة دجاجيات الأرض، أغبر اللون، طويل المنقار، قيل إنه لا ينام الليل وكأنه سمى بضده من الكرى أى النعاس".

والكروان الأغبر الذى حدثنا عنه "المنجد" هو الكروان الأوروبى فى الغالب، أما الكروان الذى يظهر فى مصر فيحدثنا عنه عالم الطيور محمد شرف، ويذكر أنه دقيق المنقار، وأصغر حجماً من

(١) مقاييس اللغة: لأبى الحسين أحمد بن فارس زكريا المتوفى سنة ٣٩٥هـ.

الأوروبى، ويغلب فيه البياض، يوجد فى مصر، وذكر الأستاذ شرف أن النوع الأوروبى الأغبر الأكبر يكثر فى مصر السفلى، كذلك يوجد فى السواحل الشمالية كروان أصغر لا يرى شتاءً.[1]

وفى بحوثه عن طيور مصر يقول العالم محمد محمد عنانى عن الكروان الجبلى: "يقيم طول السنة فى الصحراء الكبرى.. من مراكش إلى سينا.. وفى مصر وشمال بلاد العرب، ويتوالد صيفاً فى مصر، ويمتاز بالركبة الغليظة ويميل إلى الأماكن الفسيحة الصحراوية الخلوية، وتارة يرى على الشواطئ بجوار النيل.. طرف المنقار..." كذلك يذكر الكروان الجبلى السنغالى ويوجد فى مصر عدا الواحات والفيوم وغرب الإسكندرية.[2]

أما عن سبب تسميته بالكروان، فيقول محمد محمد عنانى فى كتابه سالف الذكر: "إذا اقترب واحد من العش (أى عش الكروان) راقبه وصرخ بصوت مرتفع هكذا Cour-lieu، ومن ذلك أخذ اسمه" وقد يكون صياح الكروان ونطقه كيرلى هو سبب تسمية الفرنجة له بهذا

(١) مجلة أبولو- فبراير ١٩٣٤، مقال: الطيور الصداحة والشعراء، لمحمد شرف.

(٢) كتاب طيور مصر لمحمد محمد عنانى- ٢٠٠٤، الهيئة العامة للكتاب.

الاسم، أما عند العرب فهو كروان، ومع أن كلمة كيرلى قريبة الشبه بكلمة كروان، فإن الكروان لفظ عربى قديم، ومذكور فى الشعر الجاهلى، يقول طرفة بن العبد:

لنا يومُ وللكِرْوَانِ يوم
تطير البائسات ولا نطيرُ
فأما يومُهُن فيومُ نحسٍ
تطاردهن بالحُدَبِ الصقورُ
وأما يومنا فنظلُ ركْباً
وقوفاً ما نَحلُّ وما نِسيرُ

ويبدو الكروان هنا فى حالة بؤس، يفر ولا يصمد أمام الصقر، وورد لفظ الكروان كذلك فى ديوان ذى الرمة وهو قريب عهد بالجاهلية، كذلك جاء الكروان فى كل المعجمات العربية، وكتب الأمثال.

**ريادة العقاد وشيوع ذكر الكروان:**

وفى الخامس من شهر أكتوبر سنة ١٩١٣ نشر الأستاذ العقاد قصيدة "الكروان" فى جريدة عكاظ، وتقع فى أكثر من عشرين بيتاً، وهذا التاريخ مهم فى الشعر المتعلق بالكروان، إذ لا توجد قصيدة

واحدة كاملة تتخذ من الكروان موضوعاً لها قبل هـذا التـاريخ، ولكـن توجد أبيات متفرقة فى دواوين قليلة، ظهرت فى أزمـان متباعـدة، وقـد ضـمن الأسـتاذ قـصيدته فى ديوانـه الأول الموسـوم "يقظـة الـصباح" الصادر عام ١٩١٦.

والأستاذ هنا رائد، ابتدر وشعر، وهو لم يتفاعل مـع العـصر، فلـم تكن هناك كروانيات شعرية أو نثرية قبله أو فى زمنه، وإنـما تفاعـل مـع البيئة، فالكروان موجود فى مصر، ولا وجود له فى دواوين الشعر، وهذا يـبرز تفـرده وريادتـه فى موضـوع شـاع ذكـره بعـده، فقـد قـال وتبعـه الآخرون، والناس بين تابع ومتبوع، فـالأخير يـشق طريقـاً فى الفيـاقى الصخرية، والتابع يسير عليها، وليست الريادة هى المبـادرة أو الابتـدار والسبق فحسب، وإنما إبراز التفوق فى المعالجة، والقدرة عـلى التـأثير فى القارئ والشاعر، وإثارة الإعجاب بما صاغ من قول سـائغ، واسـتدراج الأدبـاء إلى ميـدان يتبـارون فيـه، فقـد برهنـت الأيـام عـلى وجـود جمهـور يتقبـل الأدب فى هـذا الموضـوع ممـا عـبر عـن حـسن الـذوق، وحيوية المشاعر.

وانقاد لريادته الناثر والشاعر جميعاً، وأطل الكروان من القصص والروايات، والقصائد، والعقاد فى هذا كأنه وصل إلى خط الفوز فى سباق، ووقف يستقبل اللاحقين، أو كأنه حدا للكروان، ثم جاء من يحدو ورائه، ويردد صياحه.

فبعد كروان سنة ١٩١٣ أصدر الشاعر أحمد زكى أبو شادى ديوانه "زينب" سنة ١٩٢٥، ومن بين قصائده قصيدة "الكروان الرسول"، وزينب أو من دعاها زينب هى صاحبته، وجعل قصيدته أغنية لها تنبهها وتوقظ مشاعرها.

والريادة ليست أن ينظم الأستاذ العقاد قصيدة ويسترخى فى ظلها، ويكتفى بها، وإنما هى التمسك بالنظم فى موضوعه، والمجاهدة والمواظبة، فالأستاذ قادر على الاستلهام من كروانه، ومن ثم أخذ يشفع القصيدة بالقصيدة حتى تكونت عنده مجموعة وافرة من الكروانيات، فحشدها وأصدرها فى ديوان سماه "هدية الكروان" ظهر عام ١٩٣٣ وعليه صورة الكروان.

و "هدية الكروان" ديوان خاص أو نوعى، وهذا اللون من الدواوين زاخر بقصائد ثرة لها غرض واحد، وإن تعددت الأبعاد

وتنوعت، ولا يعزب عنا أن هذا التنوع متداخل متواشج لأنه جامع لموضوع واحد، ومن خصائص هذه الدواوين أنها تصور الأحوال الوجدانية الملحّة على الشاعر، والتى تلون الديوان بلون الحالة النفسية الغالبة عليه، ويكشف فيها عن دفائنه، دون أن يستهدف إمتاع القارئ أو يراعى مشاربه، لأن كل همه أن يخفف وطأة الحالة التى يمر بها، ومن الدواوين الحديثة الخاصة: "وطنيتى" لعلى الغاياتى، و "أنات حائرة" لعزيز أباظة فى رثاء زوجته، و "من وحى المرأة" لعبد الرحمن صدقى فى رثاء زوجته، ومنها "هدية الكروان" الذى غلبت عليه كروانيات العقاد، واشتمل على قصائد أخرى.

بعد "هدية الكروان" نشر الأستاذ العقاد قصيدة "عودة الكروان" سنة ١٩٣٤.(١)

وفى سنة ١٩٣٥ صدر ديوان "فوق العباب" لأبى شادى ويتضمن قصيدة "رجوع الكروان" ولاحظ تشابه العنوانين، وكأن الكروان لا يلهم أبا شادى إلا إذا سبقه العقاد.

(١) نشرت فى جريدة الجهاد بتاريخ ١/ ٥/ ١٩٣٤.

ولم يمض طويل وقت بعد هذه التواريخ حتى شاع اسم الكروان في الشعر والنثر والغناء والسينما، فنظم مصطفى عبد اللطيف السحرتي قصيدة "لحن الكروان" وضمنها ديوانه "أزهار الذكرى".

ثم كتب د. طه حسين روايته "دعاء الكروان" عام ١٩٤١، وأهداها للأستاذ العقاد قائلاً: "إلى صديقي الأستاذ الكبير عباس محمود العقاد.. سيدي الأستاذ.. أنت أقمت للكروان ديواناً فخماً في الشعر العربي الحديث، فهل تأذن لي في أن اتخذ له عشاً متواضعاً في النثر العربي الحديث، وأن أهدي إليك هذه القصة تحية خالصة من صديق مخلص.. طه حسين" وعلى أثر تأليف القصة نظم خليل مطران قصيدة في الكروان قرظ بها القصة.[١]

ومن القصص التي حملت اسم الكروان قصة "عودة الكروان" لإبراهيم حسين العقاد[٢]، وقصة "كروان الأفراح" لفؤاد فهمي[٣]، ولطاهر الطناحي مجموعة قصصية دعاها "نشيد الكروان" وغني

(١) قصيدة خليل مطران منشورة مع "دعاء الكروان" ط. دار المعارف.

(٢) عودة الكروان – مجلة الجامعة ٢٦/ ٥/ ١٩٣٨.

(٣) كروان الأفراح – المصور ١٠/ ٨/ ١٩٥١.

الموسيقار محمد عبد الوهاب أغنية "كروان حيران"، وأخرجت السينما المصرية فيلم "الكروان له شفايف" [1]، وفيلم "كروانة" [2].

ومن يتتبع الآداب والفنون يعثر على أشياء أكثر، وهكذا شاع اسم الكروان وضرب بسهم فى كل فن وميدان.

## كروان أبى شادى:

وليس كل ما نظم وكتب عن الكروان جاء فى صميمه، ومن أجله، وإنما استغل بعض الأدباء اسمه لقول أشياء ليس للكروان صلة بها، ومن هذا ما قاله أبو شادى فى قصيدته "رجوع الكروان":

أتعود بعد الشيب يا كروانى؟ أترى الكهولة كالشباب الثانى؟
هيهات لم تبق السنون لعاشق مثلى سوى الأصداء من ألحانى
كنت الرسول إلى جميل حنانها فمضيت ثم مضت بكل حنان [3]
وتسمعت أذنى إليك فلم تفز ابداً بغير صدى بعيد عان
والآن بعد كهولتى فى عزلتى تأتى برجع نشيدها الفرحان

(١) الكروان له شفايف فيلم من إخراج حسن الإمام سنة ١٩٧٦ بطولة سهير رمزى وسمير صبرى.

(٢) كروانة فيلم من إخراج عبد اللطيف زكى سنة ١٩٩٣ بطولة نور الشريف وبوسى.

(٣) كنت الرسول، إشارة إلى قصيدة الكروان الرسول فى ديوان زينب ١٩٢٥.

وتلح إلحاح المبشر بالهـــوى فالحب فوق منازل الأديـــان

أهلاً بمنقذى الحبيب وهلى درى؟ أنى على الإنقاذ جدّ معـــان

لم يبق للقلب المذاب بقيـــة تحيا وقد ألقيت فى النيـــران

إلا حياة الذكريات وكـــلّها أشجان ذى حَرَفٍ على أشجـان

قد جئت من بعد الأوان وإن أبى زهدى وعقّ تجملى تحنـــانى

عدد أبيات القصيدة خمسة عشر، أوردنا منها عشرة أبيات على التوالى حسب ترتيبها، وقرأت القصيدة كلها عدة مرات لأبحث عن الكروان فيها وللأسف لم أجد سوى اسمه، والقصيدة غزلية الطابع من شعر النسيب الشجى، ولا تبين لماذا اختار الشاعر الكروان ليكون رسولاً بينه وبين صاحبته، ولو كان اختار بلبلاً أو هدهداً أو غراباً لما تغير شئ.

فالكروان فى القصيدة مجرد اسم، وزينب صاحبته هى الكروان، والكروان هو زينب، وقد كان الشعراء العشاق يرسلون نسائم الصَّبا والريح إلى أحبابهم ويحملونها بالتحايا والسلامات والتساؤلات، دون حاجة إلى طائر، وكل هذا من باب المجاز، ثم إن كروانه خامل كسول مفسوخ الهمة مسخ، فقد كان رسوله إليها عام ١٩٢٥ (ديوان زينب)

فرجع إليه عام ١٩٣٥ (قصيدة رجوع الكروان – ديوان فوق العباب) أى استغرقت رحلة الذهاب والإياب عشرة أعوام، وربما كان كروانه يجوس فى أرض موحلة، ويسير على رسْلِهِ لأنه قصير الجناح، أو ربما كانت الرسائل ثقيلة جداً ناء الكروان بحملها، أو ربما كانت صاحبته تسكن خلف الآفاق، أو وراء جزائر واق الواق، ومر عقد من الزمان فى هذه الرحلة كان الحب فيها أدركته البرودة واكتنفته الكهولة.

والمهم أن أبا شادى لم يذكر شيئاً من صفات الكروان سوى أنه سمع أصداءه، وهذه ليست ميزة فى الكروان وحده، فكل الطيور لها أصوات وأصداء، فكيف يعد شعره من الكروانيات، إن القصيدة الكروانية هى التى يأتى فيها الشاعر على صفات الطائر وطبيعته وأجوائه وأوصافه، وما دام الشعر خلا مما ذكرنا أى لم يقدم للطائر صورة، فلا قيمة له فى هذا المجال.

## مطرب العقاد :

وإذا كانت قصيدة "رجوع الكروان" لأبى شادى تعبر عن نفس أسيانة معذبة ذابلة، ولا صلة لها بالكروان، فإن للأستاذ العقاد قصيدة "عودة الكروان" [1] التى ربط فيها بين الكروان والربيع النشوان،

(١) عباس محمود العقاد: ديوان عابر سبيل.

وجيشان الليل بالغناء، وبهجة الحياة ولذاتها الهانئة، وكل هذا متصل بالكروان، يهتف الأستاذ للحياة المتجددة وللكروان قائلاً:

مرحبا أيها البشير ومرحـــى  بعد طول السكون ليلاً وصبحا
جاءنا رائد الكراوين فى جنـ  ـح من الغيب يفتح العام فتحـــا

ثم يتحدث الشاعر عن الليل الخافق، ولا يتوقف عن الترحيب بالبشير:

مرحبا بالبشير بل ألف مرحـى  قد سمعناك تملأ السمع صدحا
واملأ الليل بالنداء على الحـــ  ـب مُصرّاً على النداء ملحـــا
أنت لاشك موقظ منه وســـنا  نا، معيد له إذا ما تنحـــــى
قد سمعناك بالقلوب وصدقنا  ك فاسبح بحمد دنياك سبـــحا

ويقول:

مرحبا بالذى إذا ارتجل الســـا  عة أوحى فى الدهر ما ليس يوحى
أنت ذكرى وأنت بشرى فهيها  ت لقلبك عن أى نهجيك مَنـحَى
لك لمح كالبرق فى عالم الصـــو  ت يشق الظلام جنحا فجنـــحا
ويرينا الحياة وهلة حلـــــم  تنجلى عالما، وتعبر لمحـــــا

الخطاب هنا مختلف، فأبو شادى يسمى قصيدته "الكروان"

ويوجه الخطاب إلى صاحبته، والأستاذ يسمى قصيدته "الكروان" ويخاطبه، ويحتفى به، ويهلل لقدومه بعد انقضاء فصل الشتاء الذى يحجبه فهو إذا قرَّه الجو البارد يختفى فى الغالب، والكروان عند الأستاذ ليس مجرد طائر متميز فحسب، وإنما هو يفتح العام الجديد الذى يبدأ بفصل الربيع.

ويربط الأستاذ العقاد بين الربيع والكروان، وهذا الربط جاء نتيجة تبصر وتفكر، وملاحظة الصلة الوثيقة بين عناصر الوجود، ومن المشاهد الظاهرة تجدد الحياة بالدفء بعد البرد، وتزيين الربيع لصدر الأرض، وانبعاث غناء الكروان من جوف الليل وهى من أخصب الأوقات التى يمر بها شاعرنا، ففيها بهجة نفسه، ومنها يستلهم شعره، يقول:

هتفات الكِرْوان بالليل تترى
ومعانى الربيع نوراً وعطرا
وجمال الحياة حباً وحسنا
وشباباً يفيض عطفاً وبشرا [1]

(١) العقاد: ديوان هدية الكروان.

والكروان مطرب العقاد كما سنبين حالاً، ولا يستكفى بإطرابه لـه فى قصيدة "عودة الكروان" السالفة، وإنما يطالبه بأن يملأ الليل نداء، والإسماع غناء، ويوقظ النيام، وإذا لم يهبوا من رقادهم للإصغاء، عليه أن ينصب لهم فى الفضاء، ويرسل عليهم فواصله الموسيقية عدة مرات، والكروان لا يجدد الحياة بالغناء فحسب، وإنما "المعيد للزمان جيلاً فجيلا".

وكروان قصيدة "عودة الكروان" يسبح فى الكون بحرية، وله لمح كالبرق فى عالم الصوت، أى أن صوته نافذ له سرعة البرق، ومميز، فضلاً عن أن الطائر يبشر بالربيع، ويذكّر بالماضى.

وقد عنى العقاد الشاعر فى شعر الكروان بتحديد معالمه، وهو عنده ليس اسم حبيبة يراسلها ويبث هواه على لسانه، وإنما هو حبيب يساهره ويسائله، ويذكر طبيعته وخصائصه، يقول:

هل يسمعون سوى صدى الكروان
صوتاً يرفرف فى الهزيع الثانى [1]
من كل سار فى الظلام كأنه

(١) الهزيع: ربع الليل أو ثلثه الأخير.

بعـــض الظـــلام تـــضله العينـــان

يـــدعو إذا مـــا الليـــل أطبـــق فوقـــه

مـــوج الـــدياجر دعـــوة الغرقـــان

يـــا محيـــى الليـــل البهـــيم تهجـــدا

والطـــير آويـــة إلى الأوكـــان (١)

فهـو قطعـة مـن الظـلام لا يـتراءى للعـين، لأن الحلكـة تـستر الكائنات، وعندما تعود الطيور الأخـرى إلى أعـشاشها وقـت الـشفق، يخلو له الجو وينبعث صوته فى الهزيع الثانى، ويبدأ أغنيته، ويظل يـشدو حتى يجعـل الليـل عـامراً يفـيض حيـاة، وفى أبيـات أخـرى مـن نفـس القصيدة، قصيدة سنة ١٩١٣، يبين الشاعر أن لغتـه "يقـصر عنهـا كـل بيان" وهو مثل كاهن يتهجد فى الليل (٢)، وعلى هذا النحو يمضى الشاعر فى تعديد معالم الطائر بالصور التى تتكون مادتهـا مـن طبيعتـه، وأحيانـاً يوسع صوره بالفن، وينميهـا بالخيـال، وكثـيراً مـا يتغلـب الخيـال عـلى

(١) العقاد: ديوان يقظة الصباح.

(٢) عباس محمود العقاد: ديوان يقظة الصباح، قصيدة "الكروان".

الواقع دون أن يطمسه، وإن كان الخيال فى كثير من الأحيان يترجم الواقع، وفى كل الأحوال لا يتجاوز مداه ويصل إلى الزيف والكذب.

وقد توشجت فى القصيدة الصور الجميلة بالصور الجليلة، فمن الجليل المهيب المروع "الهزيع الثانى" و "موج الدياجر" و "الليل البهيم" و "ترتيل الراهب"، ومن الجميل المبهج "رفرفة الصوت" أو الصوت الرفاف أو غناء الكروان، وإحياء الليل أو إيناسه، والحداء للكواكب، وفرحة الجذلان، وهذه الصورة جليلها وجميلها عمل جمالى عند فلاسفة الجمال مدام يترك أثراً فى النفس، وهو من لعب الشاعر وفنه فى قصيدته، وفى الوقت نفسه له صلة وثيقة بالطائر والطبيعة.

أما الزمن فى القصيدة فهو الربيع بداية العام، والليل الذى ينشط فيه الكروان، والشاعر فى ظل هذين الزمنين جائش يقظان يصغى للحون الطائر المنعشة، ويمتع عينيه بأضواء المساء، وينظم ما يوحى به الجمال، ويظل ينعم بهذه الأوقات إلى أن يأتى الشتاء ويختفى أو يكاد الكروان، وعلى هذا فإن التنعمات، فى موضوعنا، هبات الكروان والزمان.

والزمن هنا لا يقتصر على ليلة أو فصل سمع فيهما الشاعر طائره الغريِّد، وإنما هو ممتد من تاريخ نشر أول قصيدة فى سنة ١٩١٣ إلى

ظهور آخر قصيدة سنة ١٩٣٤ [١]، أى استطالت عشرتها واستغرق نشر الكروانيات حوالى عشرين سنة ازداد فيها الشاعر عشقاً وتعميداً، ولا يعنى كلامى أنه كان طوال هذه الفترة مشغولاً بطائره فحسب وإنما نثر وشعر كثيراً، ولكن كان الطائر فى ضميره، ينظم فيه، وينفلت منه ثم يعود إليه، أى كان انشغاله به متصلاً منفصلاً فى آن وان.

وقد عمل هذا الزمن الطويل نسبياً على تغاير صيغ الفعل بين ماض ومضارع، مما يعنى أنه كان يسترجع ذكريات نائية ولكنها ما زالت تتنهد، لذلك يقول للكروان فى قصيدة "عودة الكروان": "أنت ذكرى" وفى هذا التعبير دلالة على زمن ماض، أو قوله فى "هدية الكروان" عنه:

**اسمعتنى بالأمس ما لا عهد لى**

**بسماعه فى غابر الأزمان**

وقوله: "علمتنى بالأمس سرك كله..." وقوله: "نحن نستحي به تلك الدهور". وغيرها، كذلك فإن الزمن يتمثل فى تقدم عمر الشاعر، فقد ساغ غناءه، وصاغ قصيدته الأولى زمن الصبا، وقصيدته الأخيرة فى الكهولة، ولهذه الفترة إيقاعها، فقد استدرك ما فاته، وعمّق فكراته،

(١) نشرت قصيدة عودة الكروان فى جريدة الجهاد وأعيد نشرها فى ديوان عابر سبيل ١٩٣٧.

وأعانته فى هذا الزمن ملاحظاته وقراءاته، وعلى هذا فإن التراكم الكمى من الكروانيات تم فى الزمن، كذلك للزمن دلالة على التطور والترقى فى أشعاره، وأما التنوع الكيفى، فراجع أيضاً إلى الزمن، ذلك أن الحياة الباطنية فى صيرورة نتيجة التأثرات بالوقت والبيئة، وأثر هذين فى إدراك الحقائق، وتفهم معطيات الحياة.

**مطرب العقاد:**

والكروان طائر الأسحار، صادح الليل، وشارح الصدر، يأتى إلى شاعره ويؤدب مأدبة غناء، ويناديه ويناجيه، أما الشاعر فيقول، وقد واكبته هتفات الطائر:

**بت أصغى لها، وأقبس منها**

**ثم ترجمتها لمن شاء شعرا**

والكروان ساهر والشاعر ساهد:

**سهران فى الليل شاد**

**فكلنا سهران**

ويكرر الشاعر المعنى السالف ويضيف إليه فى قوله:

**ومن يقظات فيك نشوى**

**نعاف النوم أم من سوء حال؟**

ويعاهد الشاعر الكروان بألا يسمع فى الصيف سواه.

عاهدت هذا الصيف لست بواهب

سمعى سواك فهل تراك معاهدى؟

وفى "عودة الكروان":

قد سمعناك بالقلوب وصدقناك

فاسبح بحمد دنياك سبحا

وغير هذا مما يفيد شغف الشاعر بالطائر وإصغائه له.

فلسان الطائر الصائت بالتغريد، قابض على حواس الشاعر، مستولٍ على مشاعره، وموجه لمداركه، والشاعر يصيخ للطائر بقلبه، ويحشد عواطفه الحانية لتحيته، فلا عجب من أن يقول العقاد الشاعر ما يمور فى وجدانه فى الطائر الذى منحه لحظات بهيجه فى الحياة.

والشاعر فى الأبيات السالفة يعبر عن تجربته المتجددة التى تغرى بالتكرير كلما سمع الطائر، وهو وإن كان يعايش كروانه، ويرحل إلى عالمه فإنه لا يتلاشى فيه، وإنما يتواءم معه يقول:

فى عزلة أنا والحبيب تؤمنا

دنيا الجمال ونحن منفردان

فإنهما يتناوبان الإنشاد والإنصات، فالطائر يبعث بمقاماته الموسيقية، والشاعر يجاوبه بقوافيه الشعرية، ويغنيان سوية ويسمعان نفسيهما معاً، بل إنهما يتداخلان، يقول الشاعر:

صدحت فى نفسه أنفسنا

فتسامعنا سواء وسمعنا الكروان

أى عندما تواشجا صار الشاعر والطائر يسمع أحدهما الآخر، وما أجمل قوله "وسمعنا الكروان" أى الشاعر الكروان سمعا معاً، أغنية روحية تتنفس فيها نفسان، ولا تدرى من منهما استملك الآخر وضمه فى برديه، ووفقاً لما بين يدينا من نصوص، فإن الشاعر هو الساعى إلى الطائر للتآلف معه، والعيش فى كنفه، ونراه لا يخفى رغباته وتطلعاته يقول:

أنا فى جناحك حيث غاب مع الدجى

وإن استقر على الثرى جثمانى

أنا فى لسانك حيث أطلقه الهوى

مرحاً وإن غلب السرور لسانى

أنا فى ضميرك حيث باح فما أرى

سرا يغيّبه ضمير زمانى

تكرار حرف الجر "فى" فى الأبيات لا يفيد تداخل الشاعر فى كروانه فحسب، وإنما الاطراد والاستمرار، وقد تفنن الشاعر فى تفصيل هذا التداخل، فهو يبدأ من الظاهر ويبين أنه فى الجناح، ويتدرج فيذكر أنه فى لسانه، ويمضى فى هذا التسلسل حتى يصل إلى ضمير الطائر أو عمق أعماقه.

وهذه الصور وإن بدت حسية، فإنها ذهنية من نشاط المخيلة ناتجة عن إحساسات ومدركات يُشكل منها، ويُقيم صلة بينها، وتظهر فيها طاقته الشعرية، وتتدخل ذاكرته وثقافته فى صياغتها، وإخراجها للجمهور فى شكل فيه غرابة، إذ لابد أن نخرج عن القول العام المبتذل: إن الكروان صوته جميل، ونتفنن فى صوغ كلام آخر يهتزله القارئ.

وهذه الصور تبين أن علاقة الشاعر بالكروان علاقة مفتوحة ومتجددة، وكلما تجددت تخلّقت صور جديدة، لأن أحاسيس الأمس لا تناظر أحاسيس اليوم، والعبقرية من صفاتها قدرة النفس على التجديد.

وبين الشاعر والطائر هدايا كثيرة متبادلة، فالأول يهدى القصيد والثانى يهدى التغريد، وكأنهما مغنيا الطبيعة الليلية، وهدايا هما متوافقة فى عالم الجمال، أو قل إن قصائد الشاعر هدية يقدمها للطائر مقابل الغناء، وفى قصيدة (عودة الكروان) يطلب الشاعر من أليفه أن يملأ

أرواح الناس وينثر عليهم الأهازيج من صوته الرفاف فى أكرم ساعات الليل، وفى قصيدة (الجناح الصاعد) يطلب الشاعر من الساهرين وبخاصة الشعراء أن ينتبهوا للطائر، ويحسنوا إليه، ويرغبهم فى الرد على تحية (المغنى الخالد)، يقول الشاعر فى لحظات صفاء، وقد صات الكروان وابتهل:

حادى الظلام على جناح صاعد
يا أرض إصغى يا كواكب شاهدى
يا ساهدين على انفراد فى الدجى
ردوا التحية للفريد الساهد
لهجت طيور بالضحى وتكفلت
بالليل حنجرة المغنى الخالد
إن كنت تشفق أن أراك فلا تزل
فى مسمعى وخواطرى وقصائدى

ورد التحية هنا دعوة إلى تذوق الغناء، لأنه يعمل على تربية العواطف، وتدفئة المشاعر الباردة، وترقية الذوق، وليست هذه الكلمات من الإنشاء والبيان، وإنما هى من الواقع، فإن أم كلثوم فى أغنية

(شمس الأصيل) تـذكر ضـحكة الكـروان وتحاكيهـا [1] ممـا يعنـى أنهـا أطالت الإنصات إلى صوته، وهـى بتقليـدها ضـحكة الكـروان تـؤدى تحية، ضمنية أو مجازاً له، وترغب فى أن تكون كروانـة أو تريـد أن يقـال انتقلت الكروانة من عالمها العلوى إلى العالم الأرضى.

وقد اتسع بحر الكامل (متفاعلن) بتفعيلاته الست لما أراد الـشاعر قوله ومعانى القصيدة المعتزة بصياغتها، واضـحة، وتفيـدنا بـما يرغـب الشاعر فى إحاطتنا به علماً، وجرس ألفاظها صائح النغم، وكلماتها سهلة لا تجهد اللسان فى نطقها لخلوها من اللفظ الثقيل، والجُمـل لـيس فيهـا تقديم وتأخير يـشوشها، والقـصيدة فى مجملهـا تطـرب الأذن بقوافيهـا المطردة، وإيقاعاتها المؤتلفة.

---

(١) تقول أم كلثوم فى أغنيتها:

أنا وحبيبى يا ليل غـايبين عـن الوجـدان

يطلـع علينـا القمـر ويغيـب كأنـه مـا كـان

فـايتين حوالينـا نـسمع ضـحكة الكـروان

عـلى سـواقى بتنعـى ع الـلى حظـه قليـل

وعلى ذكر أم كلثوم والكروان، نذّكر بأغنيتها المارحة الفارحة:

يا صباح الخير يللى معانا

الكروان غنى وصحـانا

أى أن الكروان بصيحاته، ورنات نبراته، طوّح النوم من عيون القوم فى أواخـر الليـل لينهـضوا ويضطلعوا بالكفاح.

هذا إلى جانب أن هذه القصيدة وغيرها من الكروانيات لا تعرب عن حمية الشاعر واستثارته فحسب وإنما تفصح عن تأمله وتجاوبه ونشوته، وهذا يتجلى فى إحساساته الذاتية الصادقة، ذلك أن الشعر الغنائى، هو أهم ألوان الشعر، لأنه يعبر عن قائله بصدق فى كثير من الأحيان وفى كروانياته يوضح شاعرنا فى تؤده حالتين مهمتين هما: حالته، وحالة الطائر، ويتكلم تارة إلى نفسه، وتارة أخرى إلى الطائر، والأمر موقوف علينا فى تقدير الحالتين، وإدراك ما يربط بينهما.

**معارف ومواقف:**

ولا تعرف سبباً لتحرز الكروان بالليل، ونفوره من النهار، أو لماذا سما فى الآفاق، وأقلع عن البرية وانتشر فى الأجواء، ونافى فى هذا المألوف للإنسان والحيوان، وكل ما نعرفه أنه يتدثر بالظلام، ويواصل الإصعاد إلى الأعالى، ويجاذب الآذان بصوته الصائح المتدفق فى عمق الأسحار، ولم يعلل علماء الطير هذه التصرفات، وقد تكون هذه طبيعته استجابة لفطرته، وقد حاول بعض الشعراء ذكر أسباب لهذا على سبيل الاجتهاد، ومن هؤلاء الذين ورد الكروان فى شعرهم عرضاً الشيخ محمد عثمان جلال [1] القائل:

(١) محمد عثمان جلال (١٨٢٨ – ١٨٩٨) من خريجى مدرسة الألسن، وتلميذ الشيخ رفاعة، عمل مترجماً بديوان الجهادية، والمعية السنية، ومن كتاب مجلة روضة المدارس، ونشر شعره فى =

ورأى الـشعاع الكـيروان فظنـه

قمـر الـسماء فطـار فيـه وصـاحا

أى أنه يتبع النور، وثريات السماء، وتشده أنوار القمـر، ويبـدو أن عثمان جلال تـأثر بقـول الأبـشيهى [1] إذ يقـول: (لا ينـام غالـب الليـل خصوصاً فى القمر)، وقد يكون فى هذا بعض الصواب، لأن نوعـاً مـن الكروان لا يحلق شتاء، ربما لأن السماء مضببة ملبـدة بـالغيوم الداكنـة، ويطير فى باقى الفصول، لأن السماء تكون صافية جلواء والقمر ساطعاً، ولكن الأستاذ ينفى تعلق الكروان بـأنوار الـسماء، ويـذكر علـة أخـرى ذهب فيها إلى أن الكروان لا يؤنسه النور، ولا يهوى ظلام الليل، ولكنه ينطلق فى الأوقات الداجية لأنها تستره، أى أنه يبحث عن الأمـن الـذى يتحقق فى العزلة، ولم يقل الشاعر (الوحدة) لأن الإنسان مثلاً يمكن أن يكون فى وحدة مع نفسه حتى ولو كان بين مئات من البشر، أمـا العزلـة فتكون فى مكان خالٍ ناءٍ متوارٍ، يقول العقاد الشاعر:

ما أنـت بالليـل مفتونـاً ولا كلفـا

بـالنجم أو بظـلام حـين سرى

= الوقائع المصرية، وترجم (العيون اليواقظ فى الأمثال والمواعظ) وترجم ترتوف لمولير إلى اللهجة المصرية تحت عنوان (الشيخ متلوف) وترجم بول وفرجينى، وولد فى بنى سويف.

(١) كتاب المستطرف للأبشيهى (٧٩٠هـ - ٨٥٢هـ).

وإنـــما أنـــت مفتـــون بعزلتـــه

وبالأمـــان الـــذى تلقـــاه مـــستترا

وقول الأستاذ العقاد بميل الكروان للعزلة يتماشى مع الأقوال العلمية والنظرة العربية للكروان، فالمعروف عنه أنه فرّار كثير النفار جبان يفزع من الطيور الأخرى، لذلك يفضل العزلة، ويقول محمد محمد عنانى: إنه من الطيور الوجلة الحذرة، ويقول عنه عالم الطيور محمد شرف: (هو طائر كثير الحذر والحمق، إذا اقترب منه عدو كان أول الطير زعراً، وفر خائفاً)[1] لذلك يقول الأستاذ العقاد:

وأمـــن دجـــاك وإن عرفـــ

تـــك فى الحيـــاة قليـــل أمـــن

ويركز الأستاذ العقاد على أمن الكروان فيقول:

يحـدو ويـشدو لا مـساعد حولـه

أبـــداً ومـــا هـــو آمـــن لمـــساعد

فإذا انتقلنا إلى الأمثال والأشعار العربية ألفينا أنه يضرب به المثل فى الجبن والذعر والرعب، ففى كتاب (الدرة الفاخرة فى الأمثال

(١) مجلة أبولو – فبراير ١٩٣٣.

السائرة)[1] أن فلاناً (أجبن من كروان، فهو من خشاش الطير) وخشاش الطير صغاره وشراره، ويقال: أجبن من ليل، والليل فى أقوال كثير هو فرخ الكروان والنهار اسم لفرخ الحبارى، ويظن البعض أن هناك قرابة بين الكروان والحبارى، وفى كتاب (بهجة المجَالس وأنس المُجالس)[2] بيت فيه:

ألم تر أن الزبد بالتمر طيب

وأن الحبارى خالة الكروان

ويقول ذو الرمة فى جبن الكروان:[3]

من آل أبى موسى ترى الناس حوله[4]

كأنهم الكِرْوان أبصرن بازيا

أى أن الناس يهابون آل أبى موسى كما يهاب الكروان البازى وهو نوع من الصقور، وقال مكى بن سواده فى خالد بن صفوان الأهتمى:

(١) الدرة الفاخرة من تأليف حمزة الأصفهانى، وهو فارسى من أصفهان ت ٣٥١هـ.

(٢) بهجة المجالس، كتاب للإمام أبى عمر القرطبى، أندلس (٣٦٨هـ - ٤٦٣هـ).

(٣) ذو الرمة شاعر إسلامى، أموى، من شعراء التصوير، اشتهر بحبه لمى، وهو غيلان بن مسعود، ولقبه ذو الرمة (٧٧هـ - ١١٧هـ).

(٤) هم آل أبى موسى الأشعرى.

تـرى خطبـاء النـاس يـوم ارتجالـه

كـأنهم الكِـرْوان عـاينّ أجـدلا

وكان خالد بن صفوان خطيباً جليلاً تنظر الناس إليه بهيبة، كما تنظر الكِرْوان إلى الأجدل، والأجدل هو الصقر.

ويقول الأستاذ العقاد فى مقدمة ديوانه (هدية الكروان): (إن الكروان يألف أطراف الصحارى) ويؤيد هذا قول شاعر:

إذا الكـروان صـاح عـلى الرمـال

وحـل البـدر فى بـرج الكـمال

فهـات الكـأس مترعـة ودعنـى

أبـادر لـذتى قبـل ارتحـال

وتناول علماء الطير طعام الكروان، وقال محمد شرف فى مجلة أبولو، بعد صدور ديوان هدية الكروان: (طعامه الدود والحيوانات الهلامية الصغيرة، والحشرات، وصغار السمك) [1] ولم يكن الأستاذ العقاد بعيداً عن هذه المعلومات، فقد قال فى (هدية الكروان):

(١) مجلة أبولو – فبراير ١٩٣٤ .

وقـــالوا تـــسرق الأعـــشاش عمـــداً

عـــلى كـــسل وضـــعف فى الخـــصال

وإنـــك بـــالتراب شـــبيه حـــال

وبالديـــــدان منهـــــوم مغـــــال

وهذا يبين أن الأستاذ، وهو أبو المعارف، حينما نظـم فى الكـروان، كان عارفاً به، ملماً بأدق المعلومات عنـه، متـصلاً بـسبله، ومرمـاه غـير بعيد، وأن ما ورد فى دواوينه (يقظة الصباح) و (هدية الكروان) و(عابر سبيل)، لم يكن كلاماً وجدانياً خالـصاً يـذكر فيـه مـشاعره وخـواطره، وأنشطة مخيلته، وإنما فيه من العلـم مـا فيـه، ولأنـه شـاعر فقـد جـاءت معارفه فى صور شعرية.

ثم إنه لا يكتب بحثاً علمياً عن الكروان، وأضيف إلى هـذا أن مـا سطره عن الكروان لا يصلح أن يقال فى بلبل أو غراب.

**نقد:**

وقد تعرض ديوان (هدية الكروان) لهجمات ضاربة قاسية، فتح لها أبو شادى صفحات أعداد مختلفة من مجلة (أبولـو) عـام ١٩٣٤، ومـن يقرأ تلـك الـصحائف المغتـصة بالنقـدات والافـتراءات، يـدرك أن مـا حـصده نقـاد أبولـو ممـا أنبتـوه بـائر تـالف. فبعـد أن تـأثر أبـو شـادى

بما نظمه العقاد فى الكروان وأفاد منه، اعتكر مزاجه، واندرأ عليه، وشجع على نقده.

ولما لم يجد شعراء ونقاد أبولو قصيدة كاملة عن الكروان فى قديم الشعر وحديثه ليوازنوا بين ما قيل من قبل وما قاله (هدية الكروان)، اتجهوا إلى الشعر الإنجليزى لا للمقارنة، وإنما لإتهام الأستاذ العقاد بالسرقة واقتباس المعانى. فذهب مختار الوكيل إلى أن الأستاذ العقاد أخذ من قصيدة (القبرة لشلى)، وترجم الأبيات التى زعم أنها مسروقة إلى الشعر العربى، وترجمة الشعر من لغة إلى أخرى يحتمل فيه تدخل الشاعر المترجم ليحافظ على الوزن والقافية، ومع ذلك نورد شيئاً مما قاله هذا الناقد المترجم الداهية الذى كشف سرقة كبرى افتضت عذرة قصيدة (الكروان المجدد) الواردة فى هدية الكروان قال الوكيل: (يهيب شلى بقبرته هاتفاً: بحق جمالك يا قبرة/ تقولين ما جال فى خاطرك، فلا يجب العقاد المجدد أن يفوت هذه الفكرة دون اقتناصها فيقول فى الكروان المجدد: قل ما اشتهيت القول يا كروانى) أ.هـ. [1]

وتعليقنا أن الأستاذ العقاد سرق هذه العبارة، ولكن ليس من شلى، وإنما من بائع البطيخ الذى يقول طول النهار للزبون (قول اللى

(١) مجلة أبولو يناير ١٩٣٤.

إنت عايزه) أو أن (شلى) سرقها من بائع البطيخ، والأستاذ العقاد سرقها من شلى لأن الشيخ البعيد سره باتع وحتى فى هذه الحالة لا تعد سرقة، لأن بضاعتنا ردت إلينا، إن هذه العبارة يقولها كل شخص فى العالم لآخر، ولا يعجز الأستاذ العقاد عن قولها فيسعى إلى سرقتها. وعلى هذا النحو أخذ (الوكيل) يبدى ويعيد، ويكتب كلاماً بطل فيه الجوهر والعرض، ولم يصل منه إلى غرض.

وممن تعرضوا لـ (هدية الكروان) بالنقد د. محمد مندور، وكان الأستاذ العقاد قد قال عن أناشيد الكروان:

هن اللغات ولا لغات سوى التى

رفعت بهن عقيرة الوجدان

فقد اعترض مندور على (عقيرة الوجدان) وكتب صفحة كاملة فى نقدها وابتعد كثيراً عن الموضوع، وأخيراً قال: (فهذه العقيرة لا ندرى كيف تلصق بالوجدان) ورأى أن الشاعر ارتكب (وزر استخدامها لصيقة بالوجدان فى شعره الحديث) أ.هـ[1] ولنبدأ فى توضيح معنى (عقيرة)، يقول الفيروزآبادى إن العقيرة هى (صوت المغنى والباكى

(١) د. مندور، الشعر المصرى بعد شوقى.

والقارئ)[1] ويقول قاموس (المنجد) (يقال رفع عقيرته أى صوته) ولا أدرى ما الخطأ؟ فإن الإنسان والحيوان يرفع صوته، ونحن فى الأرض نسمع الكروان وهو فى السماء، ثم إن اللسان ليس مصدر الصوت، وإنما إذا جاء الإنسان خبر محزن أو سار فإن الوجدان يهتز ويرتج، فيصرخ الإنسان، واللسان مجرد أداة. وعقيرة كلمة عربية نصت عليها المعجمات، أما إذا كانت ثقيلة من وجهة نظره. فكان عليه أن يقترح كلمة بديلة أنسب للبيت، لأن النقد إصلاح، وكيف يكون شيخ النقاد ولا يجد كلمة أنسب منها، أو أنه مثل النطاسى الذى يشخص الداء، ولا يقدم الدواء، إن مندور يريد من رشقاته أن يدهك شعر العقاد، ولم يحقق غرضه، فهل هذا لأنه لم يحسن اختيار الوسيلة التى يتوسل بها، والحيلة التى يتوصل بواسطتها؟ أو لأن شعر العقاد امتنع عليه؟ فقد راح فى شعر العقاد وجاء ولم يقنع كما شاء.

وممن انتقدوا (هدية الكروان) الدكتور عبد المحسن طه بدر، وكانت عبارته فيها من البغض أكثر مما فيها من النقد، والبغض يطمس البصيرة فتملى عليه القول الخائب فيحبط عمله، ويسقط رأيه، وقد تعسف، وقال: إن شعر العقاد فى الكروان عبارة عن أحكام عامة،

(١) الفيروزآبادى، القاموس المحيط.

وأفكار مستجلبة (بحيث يصبح الكروان ليس مجرد أداة يستخدمها للتحدث عن آرائه وأفكاره، ولن تستطيع أن تجد إحساساً معيناً). (١)

ولا أرغب فى الرد على هذا الافتراء، فإن قصائد الشاعر، وما سقناه من أبياتها ضامة لأفكاره وإحساساته، لأنه تناول الكروان بعاطفته وعقله ومعلوماته، وأشرنا لكل هذا، ومَن مِن الشعراء أتى بعشر قصائد فى الكروان قبله أو غيره، لقد انصهرت أفكاره وحواسه وتمازجت فى هذا الشعر الذى وضح فيه الكروان حتى رأيناه جسداً وروحاً.

وكُتب عن (هدية الكروان) فى دوريات مختلفة وكَتب آخرون مثل معاوية نور وعبد الرحمن صدقى ويوسف طيرة وسليمان درويش وغيرهم وهم بين مادح وقادح.

الختام:

وقيمة كروانيات الشاعر تتمثل فى أنها أكبر مجموعة شعرية فى هذا الموضوع الذى ظل مغموراً مجهولاً زمناً طويلاً، وليس فى الشعر العربى من قبل ومن بعد عشر قصائد تضاهى هذه المجموعة.

(١) د. عبد المحسن طه بدر، التطور والتجديد فى الشعر المصرى الحديث.

وقد نظم أبو شادى، فيما بعد، شعراً سمّاه الكروان، ولكن شتان ما بينه وبين الطائر الذى جاء فى شعره قصيص اللسان، أما قصائد العقاد العشر فقد جاءت بمنزلة ترجمة شعرية مطولة للكروان، استبان فيها بعض أسراره وخفاياه وشد بها الانتباه.

أظهر شاعرنا أن الشعر أوفق للكروان، وألطف تعبيراً، وأكثر تأثيراً من النثر، فالتعبير الخيالى الشعرى، مميز عن التعبير النثرى، فى مثل هذا الموضوع، لأن التعبير النثرى يعجز عن التحليق لتقيده بالحقيقة، ولا يعزب عنا ما بين غناء الطائر وشعر الشاعر من توافق، ففى الشعر تناغم منتظم، يلائم ما فى الطائر من نبر مطرد، والأصوات فى الطبيعة طبيعة أخرى تتجلى فى ريحها وأمطارها، وطيرها وأمواج بحارها، والإنشاد عند الإنسان فطرى سليقى، فلا جرم أن تلاقت أصوات الطبيعة مع أغانى الإنسان.

وكروانيات الشاعر انتصرت للكروان بالتعبير عنه بالشعر، وانتصر الشاعر للشعر برفده بموضوع غنى بالنغمات. ولا يعنى كلامى أن يقتصر التعبير عن الكروان بالشعر، فالنثر يمكن أن يقول، ولكن هناك أقوالاً تقبلها شعراً، ولا تقبلها نثراً، وعلى أية حال فإن الشعراء هم الذين شعروا فى الكروان، وحنوا عليه، وشاركوه إنشاده أكثر من غيرهم.

وهذه الكروانيات ليست ثمرة قراءات، وإنما تجديد وابتكار، والتجديد ليس شن غارات على تقاليد القصيدة العربية، وإنما بتنويع الموضوعات، والنظم فيها بعد الإحساس العميق بها فى إطار شعائر وشرائط العروض.

وكانت هذه الكروانيات وراء كل ما ظهر من أعمال أدبية وفنية شملت اسم الكروان، فقد أحدثت نهضة كبرى لا ينكرها إلا حانق أو حاقد.

وقد أثرت قصائد (هدية الكروان) فى الدراسات النقدية، فلم تُهمل الكتب التى تناولت الشعر الحديث، وبخاصة شعر العقاد، هذا الموضوع سواء أجاد الكلام فيها ثناء أو هجاء مما جاد على النقد الأدبى بتحليلات ونظرات نقدية.

وأظهرت الكروانيات عاطفة رقيقة فى الشاعر تعاطفت مع طائر ضعيف مخذول يعتوره الخوف ويلوذ بالظلمات المدلهمة، ويتوارى عن الناس، والطيور الفاتكة، ويختار الانطواء على الفناء، وهذا التعاطف، وإن كان فيه مجازات، لم يتجاوز فيه ظواهر الطائر، والعطف يكشف ما تنطوى عليه العواطف الإنسانية، وقد اشتهر الأستاذ العقاد

بالدفاع عن الجوانب الضعيفة فى الحياة [1]، ومنها الكروان، وكرواناته تظهر هذه الحالة النفسية نحو طائر تسربل بالظلام، وآثر العزلة والسلام.

والآن يا أشجى المطربين، يا من تراثه خالد فى الآذان... والوجدان، تترك مثواك الليلى، وتسكت الأوتار وتتوارى فى النهار، فلا نسمع فاصلك الموسيقى، فإلى اللقاء إن كان لنا فى الحياة حياة.

أحمد حسين الطماوى

(١) قال الأستاذ العقاد وهو يتذكر سنى تعليمه الأولى فى كتاب (أنا): (كانت المفاضلة بين شيئين هى المحور الغالب على موضوعات الإنشاء فى أيامى بمدرسة أسوان، أيهما أفضل المال أو العلم؟ الذهب أو الحديد؟ الصيف أو الشتاء؟ الرأى أو الشجاعة... إلى أشباه هذه المفاضلات، وكان من عادتى أن أختار أضعف الجانبين...).

وفى قصائد كثيرة يظهر تعاطفه مع الضعفاء، مثل قصائد (الشاعر الأعمى) و (حسناء عمياء) و (العقاب الهرم)، فلا جرم أن يتعاطف مع الكروان.

عباس محمود العقاد

# هدية الكروان

شعر

obeikandl.com

# مُقَدِّمَة

## فى اسم الديوان

كان الربيع وتلاه الصيف، وكانت لياليهما السواحر الحسان، وكان هتاف الكروان الذى لا ينقطع من الربيع إلى الخريف، ولا يزال يتردد حتى يسكنه الشتاء. وأكثر ما يسمعه السامع فى حوافى مصر الجديدة حيث أسكن وحيث يكثر هذا الطائر الغريب، لأنه يألف أطراف الصحارى على مقربة من الزرع والماء، كأنه صاحب صومعة من تلك الصومعات التى كان يسكنها الزهاد بين الصحراء والنيل، فله من مصر الجديدة مرتاد محبوب.

ولى بالكروان ألفة من قديم الأيام، نظمت فيه القصيدة النونية التى أقول فى مطلعها:

هل يسمعون سوى صدى الكروان

صوتاً يرفرف فى الهزيع الثانى

وأودعتها الجزء الأول من الديوان.

ثم أعادنى طائف من طوائف النفس إلى النظم فيه فاجتمعت عندى قصائد عدة فى مناجاته. وكأننى كنت أعارضه وأساجله بكثير

من القصائد الأخرى التى اشتملت عليها هذه المجموعة، فصحَّ على هذا المعنى أن يُسمى الديوان كله (هدية الكروان).

ولوصف الكروان وشرح طباعه ومشاربه مقام آخر غير هذا المقام. فأما غناؤه فقد تقال فيه كلمة هنا، لأننا نتكلم عما فيه من شعر يوحى الشعر، فليس أصلح لهذا الكلام من صدر ديوان.

تسمعه الفينة بعد الفينة فى جنح الليل الساكن النائم البعيد القرار، فيشبِّه لك الزاهد المتهجد الذى يرفع صوته بالتسبيح والابتهال فترة بعد فترة، ويشبِّه لك الحارس الساهر الذى يتعهد الليل بالرعاية بين لحظة ولحظة، وينطلق بالغناء فى مفاجأة منتظرة أو انتظار مفاجئ فلا تدرى أهى صيحة جذل أم هى صيحة روعة وإجفال، ولكنك تشعر بالجذل والروعة والأجفال تتقارب وتتمازج فى نفسك حتى لا تتفرق، كأنك تصغى إلى طفل يرتاع وهو جذلان ويجذل وهو مرتاع! ويطلب الخطر ويشتهيه لأن للخطر فى حسه طرافة وحركة، فهو من عالم التفاؤل والإقبال لا من عالم التشاؤم والنكوص.

ويطلع عليك بهتافه من هنا ومن هناك، وعن اليمين وعن الشمال، وعلى الأرض وفوق الذرى، فيخيل إليك أنك تستمع إلى روح هائم لا يقيده المكان ولا يعرف المسافة، أطلقوه فى الدنيا على حين غرة فسحرته

فتنة الدنيا وخلبته محاسن الليل، فهو لا يعرف القرار ولا يصبر فى مطار. فأنت تتلقى من صوت هذا الطائر الأليف النافر عالماً من معانٍ وأشجانٍ يتجاوب فيها تقديس المصلى القانت وحدب الحارس الأمين وروح الطفولة ومناجاة الخطر المقبول وهيام الروح المنهوم بالحياة والجمال: عالم لا نظير له فيما نسمع من غناء الطير بهذه الديار.

ومن العجيب أنك لا تقرأ صدى للكروان فيما ينظم الشعراء المصريون، على كثرة ما يُسمع الكروان فى أجوائنا المصرية من شمال وجنوب!

وأعجب منه أنك لا تقرأ فيما ينظمون إلاَّ مناجاة البلابل وأشباهها على قلة ما تُسمع فى هذه الأجواء!

فكأنما العامة عندنا أصدق شعوراً من الشعراء، لأنهم يلقبون المُغّنى بالكروان ولا يلقبونه بالبلبل، فيصدرون عن شعور صادق ويتحدثون بما يعرفون.

وليس من تعصب منا للوطن تؤثر الكروان على البلبل وما إليه، لأن التعصب الوطنى على هذه الصورة حماقة لا معنى لها فى الشعر والشعور، ولكننا نؤثره لأن الإعجاب به صحيح يصدر من الطبع الصادق. أما الإعجاب بالطير الذى لا نسمعه فذاك محاكاة منقولة

تصدر من الورق البالى وتؤذى النفس كما يؤذيها كل تصنع لا حقيقة فيه، وأخف موقع له فى نفوسنا أن يضحكها ويغريها بالسخرية. كذلك الأصم الذى أراد أن يخفى صممه فى مجلس الغناء، فأوصى صاحبه أن يغمزه كلما وجب الصياح والاستحسان فلما نام وراحوا يوقظونه آخر الليل قام يصيح ويستحسن ولا سماع هناك ولا سامعين!

وإذا لم يشعر الشاعر بتغريد الطير على اختلافه فبماذا عساه يشعر؟ إن الطير المغرد هو الشعر كله لأنه هو الطلاقة والربيع والطرب والعلو والتعبير الموسيقى. فمن لم يأنس به لم يأنس بما فى هذه الدنيا من طبيعة شاعرة ولم يختلج له ضمير بما فى الحياة من فرح وجيشان وتعبير.

والطير بعدُ هو حجة الطبيعة لشعر الإنسان وغناء الإنسان، فهو عند الشاعر وثيقة لا يعرض عنها ولا يفلتها من يديه، فإذا قال الجفاة الجامدون إن الشعر لغو فى الحياة قال الشاعر إن التعبير الموسيقى عنصر من عناصر الطبيعة، وإن الطير يغنى ويهتف، وإن الطير يفرغ للغناء وحده إذا شبع وأمن، كأن الغناء والتعبير عن الشعور هما غاية الحياة القصوى، لا ينساها الحى إلاَّ لعائق يشغله ويغض من حياته.

والجفاة الجامدون يقولون كثيراً عن الشعر فى الزمن الأخير: يقولونه على الرغم من هذا الشعر الذى تفيض به الطبائع الحية ولاسيما

الأحياء المغردة الطائرة، ويقولونه على الرغم من ملازمة الشعر لكل أمة ولكل قبيلة ولكل لغة، فلو كان شيئاً عارضاً فى الحياة الإنسانية لما وجد حيث توجد الحياة الإنسانية، ولو كانت الموسيقى نافلة فى الدنيا لما وجدت فى أمة الطير، وإذا وجدت فى لسان الطائر فلماذا تحرم على لسان الإنسان؟ ولماذا يكون الكلام الإنسانى وحده بمعزل عن الأوزان والأشجان؟

فبين الطائر المغرد والشاعر الشادى محالفة طبيعية لا تحنث فيها الطير ولا تقصر فى إسداء حصتها الخالدة، والشعر مهما أسلف من ثناء على الطير وتمجيد للتغريد لن يوفى كل دينه ولن يستنفد كل حصته، فلتكن (هدية الكروان) بعض الهدايا التى يتصل بها السبب بين عالم الطير وعالم الشعراء.

**عباس محمود العقاد**

obeikandl.com

# الكروانيات

obeikandl.com

obeikandl.com

هتفات الكروان[1] بالليل تـــترى

ومعـاني الربيع نوراً وعطرا

وجمال الحياة حباً وحســـــــناً

وشبـاباً يفيض عطفاً وبشرا

بتُّ أصغى لها، واقبـــــس منها

ثم ترجمتـــها لمن شاء شعرا

(١) جمع كروان بفتح الكاف والراء.



obeikandl.com

## الكروان المجدد

قبل عشرين سنة نظم صاحب الديوان قصيدة (الكروان) وفيها هذه الأبيات:

هل يسمعون سوى صدى الكروان

صوتاً يرفرف فى الهزيع الثانى

من كل سار فى الظلام كأنه

بعض الظلام، تَضله العينان

يدعو إذا ما الليل أطبق فوقه

موج الدياجر، دعوةَ الغرقان

.....

.....

ما ضر من غَنَّى بمثل غنائه

أن ليس يبطش بطشة العقبان

إن المزايا فى الحياة كثيرة

الخوف فيها والسَّطا سيان

*****

يـــا محيـــىَ الليـــل البهـــيم تهجـــداً

والطـــير آويـــة إلى الأوكـــان

يحـدو الكواكـب وهـو أخفـى موضـعاً

مـــن نـــابغ فى غمـــرة النـــسيان

قـــل يـــا شـــبيه النـــابغين إذا دعـــوا

والجهـل يـضرب حـولهم بجـران

كـــم صـــيحة لـــك فى الظـــلام كأنهـــا

دقـــات صـــدر للدَّجنَّـــة حـــان

هـــن اللغـــات ولا لغـــات ســـوى التـــى

رُفعـــت بهـــن عقـــيرة الوجـــدان

إن لم تقيـــــدها الحـــــروف فإنهـــــا

كـــالوحى ناطقـــة بكـــل لـــسان

أغنـــى الكـــلام عـــن المقـــاطع واللُّغـــى

بـــث الحـــزين وفرحـــة الجـــذلان

***

وفى هذا العام نظم صاحب الديوان القصيدة التالية ليقول فيها إن ما سمعه من الكروان أولاً غير ما سمعه آخراً، وإن الكروان يجدد معانيه لسامعيه فترة بعد فترة على خلاف ما يسبق إلى الظن بلغة الطير!

وهذه هى القصيدة:

زعمـــوك غـــير مجـــدَّد الألحـــان

ظلموك، بل جهلوك، يا كروانى

قـــد غيرتـــك. ومـــا تغـــيَّر شـــاعراً

عـــشرون عامـــاً – فى طـــراز بيـــان

أســـمعتنى بـــالأمس مـــا لا عهـــد لى

بـــــسماعه فى غـــــابر الألحـــــان

ورويـــت لى بـــالأمس مـــا لم تـــروه

مـــن نغمـــة وفـــصاحة ومعـــان

***

شـــكواي منـــك، وإن شـــكرتك، إنـــه

سرٌ تـــصرُّ بـــه عـــلى الكـــتمان

شـكرى إليـك، وإن شـكوتك، إنـه

سرٌ تـــــؤخره لخـــــير أوان

كنـــز يـــصان فهـــات مـــن حباتـــه

ذخـــر القلـــوب وحليـــة الآذان

***

أنـــا لا أراك! وطالمـــا طـــرق النُّهـــى

وحـــيٌ، ولم تظفـــر بـــه عينـــان

أنا فى جناحك حيث غـاب مـع الـدجى

وإن اســتقر عــلى الثــرى جــثماني

أنـا في لـسانك حيـث أطلقـه الهـوى

مرحـا، وإن غلـب الـسرور لـساني

أنـا فى ضـميرك حيـث بـاح فـما أرى

سراً يغيّبـــه ضـــمير زمـــاني

أنـا منـك فى القلـب الـصغير، مـساجلٌ

خفـق الرَّبيـع بـذلك الخفقـان

أنـا منـك فى العـين التـى تهـب الكـرى

وتـضن بالـصَّحَوات والأشـجان

طِـرْ فى الظـلام بمهجـة لـو صـافحت

حجـر الوهـاد لهّـم بـالطيران

تغنيـك عـن ريـش الجنـاح وعزمـه

فرحـاتُ منطلـقِ الهَـوى نـشوان

فرحـات دنيـا لا يكـدِّر صـفوها

بـالمين غـير سرائـر الإنـسان

***

علمتنـى بـالأمس سرك كلـه

سر الـسعادة فى الوجـود الفـاني

سر الـسعادة نفـرة ومحبـة

فـيكم تؤلـف نـافر الأوزان

الكـون أنـتم فى صـميم نظامـه

وكـأنكم فيـه الطريـد الجـاني

أنـــتم ســـواء كالـــصديق وبيـــنكم

بعـــدٌ كـــما يتباعـــد الخـــصمان

لا يحمـــــل الطيـــــار وزر العـــــاني

حمـــل ابـــن آدم عشـــرة الإخـــوان

لا عـــــالمٌ مـــــنكم ولا مـــــتعلمٌ

كـــــلا! ولا متقـــــدم أو وان

متـــشابهين عـــلى الحيـــاة فكلكـــم

ســـاري ظـــلامٍ، هـــاتف بأغـــان

متفـــرقين عـــلى المُقـــام ودأبكـــم

عنـــد الرحيـــل تجّمـــع القطـــان

وكـــأنما نُـــسختْ لكـــلِ نـــسخة

مـــن هـــذه الأجـــواء والأوطـــان

فهـــو الـــشريك عـــلى نـــصيب واحـــدٍ

وهـــو الوحيـــد فـــما لـــه مـــن ثـــان

ذخـر الطبيعـة منـه تُعطَـوْن الحجـى

لا مــن ســباق بيــنكم ورهــان

***

أنـتم بنـي الطـير المسبّح فى الـدجى

فـيكم كهانـة صـالح الكهـان

بعـتم كـرى الغـافى وطِيـبَ رقـاده

وبـه اشـتريتم يقظـة اليقظـان

قـل مـا اشـتهيت القـول يـا كـرواني

في لهـو ثرثـار وحلـم رزان

سـأعيس مثلـك لى وللـدنيا معـاً

وأقـول مثلـك كيـف يزدوجـان

وأظـلُّ تـزدحم الحيـاة بمهجتـي

أبـداً ويجتنـب الزحـام مكـانى

فى عزلـة أنـا والحبيـب تؤمنـا

دنيـا الجـمال، ونحـن منفـردان

## الليل يا كروان

الليـــل يـــا كـــروان ... بـــشراك طـــاب الأوان

بـشراك؟ بـل أنـت بـشرى ... تهفـــو لهـــا الآذان

ســهران فى الليــل شــاد ... فكلُّنـــا ســـهران

وإن تكـــن أنـــت حلـــماً ... فكلنـــا وســـنان

وســـنان لم يـــسهُ قلـــب ... لـــه ولا أجفـــان

النـــوم فى الـــصيف وزرٌ ... وفى الهـــوى كفـــران

***

الليـــلَ يـــا كـــروان ... مـــا أنـــت والنـــسيان

حاشـــاك مـــا أنـــت ســـاهٍ ... عنـــه، ولا كـــسلان

الليـــل ذكـــرى وأنـــت الـــ ... ـــمذكرِّ اليقظـــان

لكـــنما أنـــت روحٌ ... وهـــل لـــروح مكـــان؟

بينـــا يقـــال قريـــبٌ ... كأنـــه الوجـــدان

إذا بـــه فى صـــداه ... كأنـــه كيـــوان[1]

إن كـــان فى الـــسمع طيـــفٌ ... فأنـــت يـــا كـــروان

(١) النجم عطارد وهو إله الغناء والفنون فى عرف الأقدمين.

صـــوت ولا جـــثمان  لحـــن ولا عيـــدان
كأنـــه هـــاتف فى  فـــضائه حـــيران
أو رجـــع صـــوت قـــديم  يعيـــده الحـــسبان

***

الليـــل يـــا كـــروان  فـــأين منـــك البيـــان؟
ليـــل الطبيعـــة صـــمتٌ  وأنـــت فيـــه لـــسان
وظلمـــةُ الليـــل سرٌ  فـــاقرأه يـــا ترجمـــان
مـــا فى الظـــلام ظـــلام الحـــ  ـــياة لـــو يُـــستبان
إلاَّ صـــياح اشـــتياق  تروضـــه ألحـــان
نـــصف الحيـــاة اضـــطراب  ونـــصفها أوزان (١)

***

الليـــل والـــصيف والحـــب  - كلهـــن أوان
وأنـــت مـــنهن طـــراً  عـــلى وعـــودٍ تـــصان
خـــذ صـــمتهن وصـــغه  شـــدواً لـــه سريـــان

(١) الحياة مضطرب غرائز وأشواق ودوافع، والفنون تروض هذا الاضطراب وتعالجه بالتنظيم، فنصف الحياة فوضى ونصفها وزن، والشعور الفنى هو الحياة الكاملة.

غـص فى قـرار الـدياجي ... فللـدجى شـطآن

واسـتقبل الـنجم علْـوا ... إن النجـوم حـسان

وخـذ مـن الـصيف نـاراً ... لا يعتليهـا دخـان

وارقـص مـع الحـب دوراً ... دارت لـه الأكـوان

فى الأرض بيتـك ثـاوٍ ... وفى الـسماء افتنـان

وبـين ذلـك ملهـى ... للحـب، بـل ميـدان

واللهـو في الحـب فـاعلم ... كـالحرب يـا كـروان

عليـك مـن ذا ومـن ذا ... يـا ابـن الليـالى أمـان

شـادى الغـرام لـه مـن ... سـكر الغـرام ضـمان

***

الليـلُ يـا كـروان ... والعـالم الغفـلان

ونـسمة الـصيف تـسري ... وفى يـديك العنـان

والـصبح أول مَرسـى ... يرتـاده الرُّكبـان

ألا تَـزاورَ [1] عنـه ... في الرحلـة الرّبـان؟

(١) تزاور انحرف واعرض.

وما ارتضاه ولكنّما الزمان زمان

فاملأْ من الليل نفساً عزيزةً لا تهان

لا هتفةٌ فيه تبقى إلى غدٍ أو أذان

الليل يا كروان! الصبح يا كروان!

***

## سؤال الكروان

حذارَ البأس أو حبَّ الجمال هتافك فى الدجي يا ابن الليالى؟

ومن يقظات نفس فيك نشوىَ تعاف النوم أم من سوء حال

وعندك للنجوم هوى قديمٌ أو أنك كارهٌ للصبح قال

وهذا الطير ينعم فى ضحاه فمالك فى النعيم بلا مثال؟

أضّل الطير ويحك عن هداه أو أنك أنت وحدك فى ضلال؟!

وأين من الضلال هتاف حر تنزَّه عن نشوز وابتذال

***

وقالوا ما شدا الكروان إلا ليسأل عرسه قوت العيال

وقالوا تسرق الأعشاش عمداً على كسلٍ وضعف في الخصال

وإنك بالتراب شبيه حال وبالديدان منهومٌ مغال

سألت وما أرى لك من جواب ... سوى اللحن الشجي على سؤالى
سأسمع منك أنغام الليالى ... وأسمع عنك أشتات المقال
ولا آلوك إصغاءً ووصفاً ... كلا الأمرين من همي وبالى
أبا لكروان - يا مظلوم - تُدعى ... وأنت عن الكرى المحبوب سال؟!
بحسبك أنهم كذبوك جهرا ... وأنك صادق الهتاف عال
وأنك مفردٌ في الطير لحناً ... وما استفردت فى تلك الخلال
إذا شابهتها في النقص حيناً ... فأين المشبهاتك في الكمال

***

## غن يا كروان

قم غن يا كروان غنِّ
وتمنَّ في الدنيا ومنَّى
وأمن دجاك وإن عرفْ
تُكَ في الحياة قليل أمن
فيم المخافة يا سمير
ر الليل أو فيم التجني؟
لا أنت جزل فى الصحا
ف ولست فى قفص تُغنِّي

كـــــــــلاً ولا في خافقيـــــــــــ

ـــــك الحـــائلين بريـــقُ حـــسن

والـــصقر نـــام وأنـــت وحـــــ

ـــــدك تمـــدح الـــدنيا وتثنـــى

لـــــك كـــــل مـــــا دون الكـــــوا

كـــب مـــن ســماك الليـــل مبنـــي

فـــــأمن زمانـــــك أو فخـــــف

فـــالطبع دون الـــرأي يغنـــي

أني إخالـــــك لـــــو أمنـــــــ

ـــــت لمـــا هتفـــت لنـــا بلحـــن

***

## ما أحب الكروان!

ما أحب الكروان!

هل سمعت الكروان؟

موعـــدي يـــا صـــاحبى يـــوم افترقنـــا

حيـث كانـت جـيرةٌ أو حيـث كنـا

هـــاتفٌ يهتـــف بالأســـماع وهنـــا [1]

هو ذاك الكروان، هو هذا الكـروان!

***

الكـــــراوين كثـــــير أو قليـــــلْ

عنـــدنا أو عنـــدكم بـــين النخيـــلْ

ثَـــم صـــوتٌ عـــابرٌ كـــلَّ ســـبيلْ

هو صوت الكروان، فى سبيل الكروان

***

لى صـــدى منـــه فـــلا تـــنس صـــداك

هـــو شـــاديك بـــلا ريـــبٍ هنـــاك

فـــإذا مـــا عـــسعس الليـــل دعـــاك

ذاك داعي الكروان، هل أجبت الكروان؟

***

(١) الوهن من الليل نحو منتصفه أو بعد ساعة منه.

مفـــــردٌ لكنـــــه يؤنـــــسنا

ســـــاهرٌ لكنـــــه ينعـــــسنا

صـــــدحت فى نفـــــسه أنفـــــسنا

فتسامعنا سواء، وسـمعنا الكـروان!

***

واحـــــدٌ أو مائـــــة ترجعـــــه

عنـــــدنا أو عنـــــدكم مطلعـــــه

ذاك شيءٌ واحـــــد نـــــسمعه

في أوان وبيان، هو صـوت الكـروان

***

واحـــدٌ بـــين عـــصور وعـــصور

نحـن نـستحيي بـه تلـك الـدهور

لم يفتنـــا غـــابر الـــدنيا الغـــرور

فى أوان الكروان، ما أحب الكـروان!

***

## على الجناح الصاعد

حـادى الظـلام عـلى جنـاح صـاعدِ

يا أرض أصغي، يا كواكـب شـاهدي!

يـا آنـسين بـصحبة مـن وجـدهم

نُـصّوا المـسامع للأنـيس الواجـد

يـا سـاهدين عـلى انفـرادٍ في الـدجى

ردوا التحيـة للفريـد الـساهد

المـستعزِّ بعرسـه وكأنـه

منهـا نجـيٌّ مغـاور وفراقـد

لهجـت طيـورٌ بالـضحى وتكفَّلـتْ

بالليـل حنجـرة المغنـي الخالـد

يحـدو ويـشدو لا مـساعد حولـه

أبـداً، ومـا هـو آمـنٌ لمـساعد

أنـا صـائدٌ لـصداك، لـستُ بـصائد

لك أنت يـا كـروان، فـأمنْ صـائدي

بينـا أقـول هنـا إذا بـك مـن هنـا

في جـنح هـذا الليـل أبعـد باعـد

ووددت يـا كـروان لـو القيـتَ لى

صـوتين منـك عـلى مكـان واحـد

إن كنـت تـشفق أن أراك فـلا تـزَلْ

في مـسمعي وخـواطري وقـصائدي

عاهـدت هـذا الـصيف لـست بواهـب

سمعى سواك، فهل تراك معاهـدي؟

مـن كـان قـد أغنـى الطبيعـة كلهـا

مُغِنِّـي عـن شـاد سـواه وشـائد

## ألف صدى

ألـف صـدى لهـاتف منفـرد عـلى الـذرى؟

أم ألـف شـاد رددتْ هتافهـا مكـررا

أم ذاك روح أطلقـو ه فى الـدُّنى مُحَـيَّرا

فَرادَهـا مـستغرباً وطافهـا مستبـشرا

فـلا يقـال مقبـلٌ حتـى يقـال أدبـرا

هـــنَّ كـــراوين الليـــا ... لي أو فقـــل هـــو الكـــرا [1]

لا نقـــص إن قَلَّـــتْ ولا ... مزيـــــد فى أن تكثـــــرا

باركهـا مـن بـارك الخلـ ... ـــد ومـــا قـــد أثمـــرا

## شدو الآمن الخائف

يا صـاحب الليـل غـام الليـل أو سـفرا

ولـفَّ ظلـماءه أو اطلـع القمـرا

مـا أنـت بالليـل مفتونـاً، ولا كَلِفـا

بالنجم، أو بظلام الليـل حـين سرى

وإنـما أنـت مفتـونٌ بعزلتـه

وبالأمـان الـذى تلقـاه مـستترا

وبالحبيـب الـذى يـدعوك مرتفعـاً

في ساحة الليل، أو يـدعوك منحـدرا

إذا شـدوت فـما أدري أذو كلـف

نـاغى الهـوى أم نـذير فاجـأ الخطـرا

(١) الكرا ذكر الكروان.

سـيانِ يـا كـرواني القلـب مـستعراً

بالشوق أو بـضرام الخـوف مـستعرا

إن كـان شـدوك أمنـاً فاشـدُ في دعـةٍ

أولا فلا زلت مَذعور السُّرى حذرا!

## لمن الفضل؟

كـروان الليـل رتّـل للهـوى آيـة الحمـد. وحمـد الفِطـن

هـو أغـراك بـشدوٍ وثنـى لـك سـمع العاشـق المفتـتن

لك إلفٌ منـه تـستوحي. ولى أنـا إلـفٌ وحيُـه ينطقنـي

أنـتَ لـولا نفحـةٌ مـن حبـه ساكنٌ عنـدي، وإن لم تـسكن

صامتُ الفن أخا الفـن- وإن صـدحتْ ألحانـه في أذني

غارَ حِبي منك فاسمعْ إنني عنـه أروي كـلَّ شيءٍ حـسن

وله الفـضل ومنـه الـوحي لا منـك في كـل مقـال بـيِّن

ألحقنـا المقطوعـات الآتيـة بهـذا البـاب لأنهـا تـشبهه وتتـصل ببعض أبياته:

## القمارى العارفة

مـــــلأَتْ داري القـــــماريُّ غنـــــاءً

ويحها! هـل يكـشف الطـير الغطـاء

عرفـــت عنـــدى ربيعـــاً بعـــد مـــا

رهبـــت مـــن ظلمـــة الـــدار الـــشتاء

عرفتنـــى العـــام أم كانـــت هنـــا

كـــلَّ عـــام تمـــنح الـــدار الـــولاء

لم أكـــــن أحفلهـــــا حتـــــى إذا

صـــدح الحـــبُّ تـــسمعتُ الغنـــاء!

## ببغاء[1]

ببغـــــاءٌ ترنمـــــتْ بمـــــديح البلابـــــل

أيـــــن منـــــا بلابـــــلٌ مـــــسرعات المراحـــــل

فى ســـــماوات مـــــوطن لـــــيس منهـــــا بآهـــــل

(١) الببغاء تحكى ما تسمع دون أن تعقل، وكذلك يكون الشاعر الذى يتغنى بالبلبل على المحاكاة والتقليد دون أن يسمعه، فهو فى مصر نادر لا يزورها إلا فى رحلة عاجلة.

بـــالكراوين عـــامر والقـــماريِّ حافـــل

نـــاج مـــا أنـــت ســـامعٌ يـــا أســـير الأوائـــل

اســـلُ عـــن عاجـــل بـــذى صـــحبة غـــير عاجـــل

مـــا اشـــتغالٌ بمـــورد لـــستَ منـــه بناهـــل

وانـــصراف عـــن الـــذي أنـــت منـــه بـــساحل

أنـــت عنـــدى بـــذا وذا جاهـــلٌ أي جاهـــل

ناقـــلٌ لهفـــة الـــصدى (١) أو شـــبيه بناقـــل

فى الكـــراوين غنيـــةٌ عـــن نـــشيد البلابـــل

والقـــماريُّ مـــا لهـــا؟ أصـــغ واســـمع، وســـائل

إن تعـــدَّاك قولهـــا فـــالتمس وصـــف قائـــل

## شدو لا نوح

شـــدوُ القـــماريِّ لا نـــوح القـــماريِّ؟

هل يعبر الحزن بالشادي الصباحيِّ؟

أو الربيعـــيِّ فى أنـــس وفي أمـــل

وفي غـــرام عـــلى الإلفـــين مطـــويِّ؟

(١) الظمأ.

يـا حـسنها مـن بـشيرات عـلى دعـة

كأنهـا أمنـت فـوت الأمـانيِّ

محبَّبـاتٍ إلى الإنـسان تألفـه

وتعـتلى مـن ذراه كـلَّ علـويِّ

تهـوى الـديار، وفى الآفـاق مطلعهـا،

ما بالها؟ هـل سباها حـسن أنـسي؟

وللانـاسيِّ حـسنٌ لا أبـوح بـه!

هل تعرف الطير ما حسن الانـاسي؟

غنَّـتْ لزهـر وسلـسال ولـو رشـفت

زهـر المباسـم جُنَّـت بالاغـانيِّ

أوْلى لقُمريَّنـا أن لا يحـوم عـلى

يأس الهوى بـين أنـسي و "طَـيْريِّ"

غـرِّدْ عـلى الـدور يـا قمـريُّ فى دعـة

واسـلم هنالـك مـن بـاك ومبكـيِّ

واتـلُ الرجـاء عـلى هـذا وذاك، ولا

تسألها عـن جـوى في القلـب مخفـيِّ

حسب المغـاني التـي يبكـي الحـزين بهـا

مـن سـلوة، أن فيهـا شـدو قمـريِّ

## شفاعة للغراب

حيَّ الغراب الفجرَ بالنعيـب تحيـة التهليـل والترحيـب

وافترَّ نـور الفجـر كالمجيـب في غـير مـا لـوم ولا تثريـب

لهاتف ناداه من قريب

***

ما ذنب ذاك الناعب المسكين ألا يحيْـي النـور بـاليقين

تحيـة العـصفور والـشاهين؟ ألا تـدين كلهـا بـدين؟

فما له يُعذل كالرقيب ؟!

***

شـفاعة الأنـوار والأحبـاب فى الأسود المهجور في الخـراب

ما الصيَّدح الهاتف بالعجـاب أصدق حباً لـك مـن غـراب

فاعذره يا فجر على التشبيب

***

أســـمعهُ والطـــير فى أوان وقُبلـةَ الـصبح، وقـد ناجـاني

صوت حبيبـى بـاديَ الحنـان لــذلك الموعــود بالحرمــان

وما له في الحسن من نصيب!

***

أمنــتُ منــه لوعــة الفــراق وكــلَّ غــاقٍ عنــده وقــاق

فــلا يــزل يــنعم بالاشــفاق مــن الريــاض الفِيح والآفــاق

ومنك يا فجر، ومن حبيبى

## عادات الغراب

بــئس الغــراب وإن ذكــرتُ بــصوته

عطـف الحبيـب عليـه كـلَّ صـباح

أبــداً يقــاطع كــلَّ شــاد حولــه

كمعطِّــلي الإنــشاد في الأفــراح

فــإذا شــدا الكــروان أتبــع شــدوه

بــصياح شــؤمٍ منــه أو بنــواح

وإذا ترنَّمــتْ القــماريُّ انــبرى

مـا بـين تنعـابٍ وخفـق جنـاح

حـسداً ولؤمـاً، أو غـروراً لم يـزل

دأب الحـسود وديـدن الملحـاح

لا عـاد فـرعٌ كـان ينعـب فوقـه

فرمتـه فـأس الحاطـب المحتـاج

## نعب على عشه

هـدموا دار الغـراب ... وابتلـوه بـاخرابِ

قطعـوا الدوحـة قطعـاً ... ورموهـا فى الـتراب

ليـت شـعري مَـن هُنـا النـا ... عـب يـا رب النُّعـاب

لـستَ بالمـأمون فاذهـب ... غـير مبكـيَّ الـذهاب

أنـت آذنـت بخـوفٍ ... في هوانـا وارتيـاب

لم تـصن عهـداً لمـن حـا ... طـك بـالعطف العجـاب

لحبيـبٍ بـات يرثـي ... لـك مـن سـخر الـصحاب

فـامض في غـير وداع ... وأنْـأ في غـير اقـتراب

وخـذ الغربـان طـرّاً ... مؤنـسات فى الركـاب

مـن ذوات العـش فى النفـ ... ـس وفي هـذى الرحـاب

رب شـك هـو في الأنفـ ... ـس شر مـن غـراب!

## سحر الطير

كـــل إلـــف لـــه مـــن الطـــير إلـــف

هكـــذا تجمـــل الحيـــاة وتـــصفو

أمـــلٌ يرتقـــى، وحـــبٌ ينـــاجي

ولـــسان يـــشدو، وقلـــبٌ يـــرف

بـــك خـــفَّ الجنـــاح يـــا أيهـــا الطـــ

ـــير، ومـــا كنـــت بالجنـــاح تخـــف

لطـــف روح أعـــار جنبيـــك ريـــشاً

فمـــن الـــروح لا مـــن الـــريش لطـــف

لـــيس ينميـــك للـــسماء جنـــاح

بـــل غنـــاءٌ عـــن الـــضياءِ يـــشف

إن مـــضى النـــاس يعجبـــون قـــديماً

كيف تعلـو؟ عجبـتُ كيـف تُـسف

ثقلـــةٌ فى الحيـــاة لم يـــنج طبـــعٌ

مـــن عراقيلهـــا ولم يخـــلُ عـــرف

obeikandl.com

# غـزل ومناجـاة

obeikandl.com

obeikandl.com

## ارتجال المنى

منِّني أطيب المنى يا حبيبى ... فالمنى وحدهن منك نصيبى
أن يَفُتنا منالها لم تفتنا ... نظرة من خيالها المرقوب

***

منِّني، بل دع المنى يا حبيبى ... فشقائي في الموعد المكذوب
هان فقد المنى التي لم تَعِدنا ... وافتقاد الموعود جد صعيب

***

أعطني! أعطنى إذن يا حبيبى ... غيرَما ناكث ولا مستجيبِ
أعطنى صفوك ارتجالاً ودعنا ... من مطالٍ بالوعد أو تقريب
فارتجال المنى أحب لنفس ... شبعت من رويَّةِ التجريب

## متى[1]

متى يا عيون يعود الضياءُ؟ ... متى يا رياض يعود الربيع؟
متى تأمرين؟ متى تأذنين؟ ... متى تقبلين دعاء الشفيع؟

(١) إذا سأل الحبيب محبة وهو يودعه: متى يعود إليه؟ فذاك سؤال غريب كالأسئلة الغريبة التى تتردد فى هذه القصيدة.

متى يرجع الغائب المرتَجى إلى صدر أمٍ براها السقام؟
متى يهبط النوم تحت الدجى لعينيك يا ساهراً لا ينام؟

***

متى يطلع النجم للتائهين؟ وقد غرقوا فى ليالى الخطوب
متى يجمع الشطُّ تلك السفين؟ وقد عاث فيها الخضم الغضوب

***

متى يأذن الجائعون الظما ء فى الماءِ يطفئُ حر الصدى
وفى الزاد يبقى ذماء الحيا ة، وفى الخمر يعلو بها مُصعدا

***

متى؟ إي وربك قل لى متى؟! وسلهم عن اليوم والموعد
فقد يُقبل الزائر المرتجى ولا من مُلاقٍ له في غد؟!

***

إليك مثال السؤال العجيب وأنت بأحلى مثال تجود
عشيةَ تبسم عند الودا ع وتسأل: في أي يوم أعود!

## جمال يتجدد

كلما قلتَ لى الربيع جميلٌ ... قلتُ: حقاً. وزاد عندى جمالاً

عجباً لي. بل العجيبة عندي ... صور الكون كم يسعن كمالاً

خلتُني قد وعيتهن عِياناً ... وتتبعت من وَعوها خيالاً

شاعراً عاشقاً وقارئَ كتْبٍ ... قرأ الكتب دارساً، فأطالا

فإذا نظرةٌ بلحظك تبدي ... صوراً ما طرقن عنديَ بالا

بعداد الأنوار فى أعين الحـ ... ـب نعد الأكوان والأجيالا

## النبض

رأوا فما عرفوا، كلا ولا عجبوا

ولا دروا بالذي أرجو وارتقب

كأنما أنا من أمسي ومن غده

لم يختلف قط لى شجوٌ ولا طرب

في مهجتى أملٌ فاضت بشائره

فما لهم حُجبوا عنه، وما حُجبوا

فلـو تـشيم ضـياء القلـب أعيـنهم

لأبصروا فيـه عـين الـشمس تقـترب

كـالفجر تـسري عـلى مهـل طلائعـه

أو موكب النصر يدنو وهو يصطخب

الحمـــد لله! لا شـــاموا ولا نظـــروا

ولا درى جاهـــلٌ مـــنهم ولا أرِبُ

لـو أبـصروا الموعـد المومـوق مقتربـاً

لجفَّلتـه إذن مـن لـؤمهم رِيَـب

وهـبَّ للـشر مـنهم عـسكر لجـبٌ

إن يطلبـوه لخـير عـزَّهم طلـب

يـا أيهـا النـاس قـرُّوا فى مـضاجعكم

إني وحقِّكـم أسـوانُ مكتئـب!

أسـوان مكتئـبٌ لا الحـسن يفرحنـي

ولا الحبيـب لـه في فرحتـى أرب

وهاكم النبض جسوه. أعندكم

تحـت الأضـالع قلـبٌ خـافق يثـب

كـــلا وحقكـــم! لا كـــان حقكـــم

إلا اليمين التي يحلـو بهـا الكـذب!!

## اليوم الموعود

يـــا يـــوم موعـــدها البعيـــد ألا تـــرى

شـوقي إليـك، ومـا أشـاق لمغـنم؟

شـــوقي إليـــك يكـــاد يجـــذب لي غـــداً

من وكـره، ويكـاد يطفـر مـن دمـي

أسرعْ بأجنحـــة الـــسماء جميعهـــا

إن لم يطعـك جنـاح هـذي الأنجـم

ودع الـــشموس تـــسير فى داراتهـــا

وتخطَّهـــا قبـــل الأوان المـــبرم

مـــا ضرَّ دهـــرك إن تقـــدم واحـــدٌ

يـا يـوم مـن جـيش لديـه عرمـرم

***

لي جَنـــةٌ يـــا يـــوم أجمـــع في يـــدي

مـا شـئتُ مـن زهـر بهـا متبـسم

وأذوق مـــن ثمراتهـــا مـــا أشـــتهي

لا تحتمـــى منـــي ولا أنـــا أحتمـــي

وتطـوف مـن حـولي نـوافر عُـصْمها

ليست بمحجمـة ولـست بمحجـم

وتلـــذُّ لى منهـــا الوهـــاد لـــذاذتي

لتـــصعُّدٍ فى نجـــدها وتـــسنُّم

لم آسَ بـــين كرومهـــا وظلالهـــا

إلا عـــلى ثمـــر هنـــاك محـــرَّم

فكـــأنما هـــي جَنـــة في طيِّهـــا

ركـنٌ تـسلل مـن صـميم جهـنم

أبـــداً يـــذكِّرني النعـــيمُ بقربهـــا

حرمـان مـزءودٍ [1] وعُـسرة معـدم

وأبيـــتُ فى الفـــردوس أنعـــم بـــالمنى

وكـــأنني مـــن حـــسرةٍ لم أنعـــم

***

(١) المزءود المفزع المدفوع.

يـــا يـــوم موعـــدها ســـتبلغني المنـــى

وتُـــتم لى الفـــردوس خـــير مُـــتَمَّم

لا غـــصن رابيـــة تقـــصِّر راحتـــي

عنـــه، ولا ثمـــر يعـــز عـــلى فمـــي

ســـأظل أخطـــر كالغريـــب بجنتـــي

حتى أثـوب عـلى قـدومك، فاقـدم؟

فأبيـــتُ ثَـــم إذا احتـــواني أفقهـــا

لم انـــهَ عـــن أمـــل ولم أتنـــدم

فرحـي بـصبحك حـين تـشرق شمـسه

فـرح الـضياء سرى لطـرفٍ مظلـم

***

أمعـــيرتي خلـــد الـــسماء ســـاحةً

صـــونية عـــن وَلـــهٍ صـــيانةَ مكـــرم

رفقـــاً بخلـــدك أن تـــشوبي صـــفوه

إن لم تـــرىْ رفقـــاً بمهجـــة مغـــرم

## ضياء على ضياء

على وجنتيه ضياء القمرْ ... نظيران يستبقان النظر

جمعتهما أنا في لثمة ... أو البدر قبَّله فابتدر؟

فما زال يلحظه جهرةً ... ويغمزه من وراء الشجر

ويزعمها قبلةً من أخ ... ففيم أذن قطفها في حذر؟!

ولو شئتُ ظللتُ وجه الحبيـ ... ـب ولو شئت كللته بالزهر

ولكن كرمتُ فَخُذ يا قمرْ ... من الزاد ما تشتهي في السفر

***

سها الليل عنا وعن بدره ... وهز الحبيب حنين السهر

فقال وقد فاض منه الرضى ... وسُرَّ بفيض رضاه وَسر

على مثل هذا تطيب الحيا ... ة، وفي مثل هذا يروق السمر

فقلت أجل ما أحب الحيا ... ة، وأنت شفيع لها مُدَّخر

لأجلك يصفو لها من صفا ... وباسمك يعذرها من عذر

## شعر وشعر

أمـــن شـــعر؟ نعـــم! شـــعرٌ وشـــعرُ

وخفـــقٌ في الجـــوانح لا يقـــر

فمنـــي الـــوزن فى خفقـــات قلبـــي

ومنـــك الـــوحي والحـــسن الأغـــر

وتـــسألني كأنـــك لـــست تـــدري

ومـــالى غـــير مـــا أوحيـــتَ سر

وأحـــرى بي ســـؤالك عـــن قـــصيدى

فـــما لى فيـــه- بـــل لـــك أنـــت- أمـــر:

أأنظـــم في غـــدٍ أم لات نظـــم

عـــلى مـــا ترتـــضيه ولات نثـــر؟

وعـــن شـــفتيك لا شـــفتيَّ أروي

عـــشيةَ يلتقـــى ثغـــر وثغـــر

فلقنـــيَّ أجبـــك ولا تـــسلني

سؤال الشمس هل سيلوح فجر [1]

(١) ليس للشمس أن تسألنا: هل يلوح الفجر؟ لأن الفجر يطلع حتى تطلع هى، وكذلك الحبيب لا ينبغى أن يسأل الشاعر: هل ينظم شعراً، لأنه ينظمه بوحيه.

## الثوب الأزرق

الأزرق الـــساحر بالـــصفاء
تجربـــةٌ في البحـــر والـــسماء
جرَّبهـــا (مفـــصَّل) الأشـــياء
لتلبـــسيه بعـــدُ في الأزيـــاء
مجـــوَّد الإتقـــان والـــرواء
مـــا ازدان بـــالأنجم والـــضياء
ولا يمحـــض الزَّبَـــد الوضّـــاء
زيَّنتـــه بالطلعـــة الغـــراء
ونـــضرة الخـــدين والـــسيماء
ولمعـــة العينـــين في اســـتحياء
إن فـــاتنى تقبيلـــه فى المـــاء
وفي جمـــال القبـــة الزرقـــاء
فـــلي مـــن الأزرق ذي البهـــاء
يخطـــر فيـــه زينـــة الأَحيـــاءِ
مقبَّـــلٌ مبتـــسم الأَوضـــواءِ

مـــردِّد الأنغـــام والأصـــداءِ

وقبلـــةٌ منـــه عـــلى رضـــاءِ

غنـى عـن الأَجـواءِ والأرجـاءِ

وعـن شـآبيب مـن الـدأماء [1]

وعنـك يـا دنيـا بـلا اسـتثناءِ

## يـــوم

ذهـــب الليـــل ودار الملـــوان [2]

وشـــدا قبـــل الـــصباح الكـــروان

وتحـــدَّاه الغُـــدافُ [3] الـــذي

تبـــسط الرفـــق عليـــه والحنـــان

ومـــشى الـــصبح عـــلى مهـــلٍ كمـــن

يطـــرق الـــدار عـــلى غـــير أمـــان

(١) الشابيب أول ما يظهر من الحسن. وشدة اندفاع كل شيء والدأماء البحر.

(٢) الليل والنهار.

(٣) الغراب- راجع ما تقدم.

وتلمـــــستُ هنـــــا تغريـــــدةً

في فمـــي تـــصدح في هـــذا الأوان

قُبلـــة منـــك هـــى الفجـــر، وفى

طيهـــا تبـــدو ثنايـــاه الحـــسان

عـــن شـــمالى كلـــما ولى دُجـــى

وسرى فجـــر، وحنـــت شـــفتان

وتـــــراءَت نظـــــرة ناعـــــسة

عنـــد أخـــرى، فتلاقـــت نظرتـــان

***

بـــان لـــيلي! لا تـــسلني كيـــف بـــان

أنـــت تـــدري، فـــاغتفر عـــيَّ البيـــان

كلـــــما يممـــــتُ دارى قلـــــتَ لى

أجناحـــــان لنـــــا أم قـــــدمان؟!

فأتيـــــتُ الـــــدار لا أحـــــسبها

قربـــت قـــط، ودوني خطوتـــان

لم أكـــــن أطلبهـــــا ويحـــــى ولا

أطلـب المهـرب منهـا حيـث كـان

أيــن أمــضي؟ أيــن تحــدوني الخُطـا؟

ضـاقت الـدار، وضـاق المـشرقان

راعنـــى نقـــصٌ بعينـــي ويـــدي

وفمـي الـصادى، وقلبـى، واللـسان

خلتُنـــي بُـــدِّلت منهـــا غيرهـــا

ولـــو اســـتبدلها الخطـــب لهـــان

أهزيـــعٌ منـــك يـــا ليـــل مـــضى؟

أمـضى نـصف؟ أمـا ينـشطران؟

بـــان لـــيلي! لا تـــسلني كيـــف بـــان

حاطـــك الله مـــن الليـــل وصـــان

إى وربي بـــان لكـــن بعـــد مـــا

نفـدت سـاعات عمـرى فى ثـمان

لا زمـــــانٌ حيـــــنما لاقيتنـــــي

فـــإذا فـــارقتني كـــان الزمـــان

***

طلـــع الـــصبح حزينـــاً عـــاطلاً

أتُـــراه كـــان بـــالقرب يُـــزان

وسرتْ أنفاســـــه يـــا حـــسرتا!

أيــن أنفاســك يــا زيــن الحــسان؟

نـــسمات الـــصبح أورت[1] كبـــدى

فحجبـت الأنـف عنهـا والعيـان

وتمـــــشّيت إلى كتبـــــى عـــــلى

مـــضض منـــي، وللكتـــب أوان

يـــا أبـــا الطيـــب لا تهـــرف ويـــا

صاحبى الرومىَّ مـا هـذا الرطـان؟!

شـــعراء الـــشرق والغـــرب أمـــا

تملكـون الـصمت يومـاً فى عنـان؟!

أو فهـــاتوا الـــشعر لى صرفـــاً بـــلا

أحـرف في الطـرس منـه أو معـان

(١) أورى الزند اخرج ناره.

أفرغـــــوه جملـــــةً فى خـــــاطرى

لـيس لى بـالطرس والـدرس يـدان

رُبَّ شـــعر شـــاقني لَّـــا تكـــدْ

شـــفتا قائلـــه تتفرجـــان

***

وتجـــلى البـــاب لى عـــن زائـــر

مـــن اودَّائـــي كأنَّـــا اخـــوان

فتعلَّمـــــتُ ولبـــــى شـــــارد

كيف يُكسى الـود ثـوب الـشنآن (١)

قـــال لى: (الأفـــق جميـــلٌ) قلـــت لا

بـــل دمـــيم. قـــال زاهٍ. قلـــت قـــان!

قـــال زيـــدٌ. قلـــت حاشـــا. فـــانثنى

نحو عمرو. قلـت كـلا. بـل فـلان!

فمـــضى يعجـــب منـــي ســـائلاً؟

أسـلام؟ قلـت بـل حـرب عـوان

(١) البغض.

ذهـــب اليـــوم ومـــا أحلكـــه

كـــان مـــن يـــوم نـــماه النَّـــيِّران

لم يكـــــن فى صـــــبحه أو ليلـــــه

حـــظ عـــين، أو لـــسان، أو جنـــان

ذاك يـــومٌ يـــا حبيبـــى واحـــدٌ

وغـــدٌ منـــه غنـــيٌ عـــن بيـــان

## الحب المثال

كـــأنيَ مثَّـــال وحـــسنك تمثـــالى

عجائبُ حـب مـا خطـرن عـلى بـال

فـــما أتمنـــى فيـــك معنـــى أريـــده

من الحسن إلا وافـق الحسنُ آمـالى

وأحـــلام قلـــبٍ فيـــك تـــسري كأنهـــا

خوالق أيدي الفن في الـذهب الغـالى

تجـــول بأشـــكال الخيـــال وتنثنـــي

وقد اسـعدك منـك العيـان بأشـكال

إذا مـا تمـشَّت فيـك معنـىً لمـستُها

محاسـنَ أعطـاف ورقـة أوصـال

إذا اقترحـتْ عينـي فأنـت مجيبهـا

فهـل منـك أو منـى صـياغة تمثـالى؟

ومـا اقترحـت إلا كـما اقـترح المنـى

غنيٌ علي وفـر مـن الوقـت والمـال (١)

فـما فيـك مـن نقـص ولكـنْما الهـوى

نـوازعُ شـتى لا تقـر عـلى حـال

فيـا قـدرة الحـب المبـارك أبـدعي

لكل حبيـب فى الـصبا ألـف سربـال

واجملُ مـن صـوغ الـدُّمى صـوغ دميـةٍ

لهـا زينتاهـا مـن حيـاةٍ وإقبـال

(١) إذا كملت نعمة الإنسان تمني الأمانى التى لا حاجة به إليها. وإنما تغريه بها وفرة النعمة وطبيعة الأمل في الإنسان.

## ساعى البريد

هـــل ثَـــم مـــن جديـــد  يـــا ســـاعي البريـــد

***

لـــو لم يكـــن خطـــابى  في ذلـــك الوطـــاب
لم تطـــو كـــلَّ بـــاب  يـــا ســـاعي البريـــد

***

مـــا ذلـــك التنـــسيق  والجمـــع والتفريـــق
والقفـــز والتعويـــق  يـــا ســـاعى البريـــد!؟

***

كـــسوتك الـــصفراء  والخطـــوة العرجـــاء
يمـــشى بهـــا الرجـــاء  يـــا محنـــة الجليـــد

***

لـــو لم تكـــن جمـــالاً  فى مِـــشية العجـــالى
صـــغنا لـــك التمثـــالا  مـــن جـــوهر فريـــد

***

لا أحـــسب الـــساعات في حـــــــاضر وآت
إلا عـــــلى الميقـــــات: ميقاتـــــك الوئيـــــد

***

في شرفتـــــى ابتكـــــر غـــــيرك لا انتظـــــر
وإن ســـــعى لي القمـــــر يـــــا ســـــاعي البريـــــد

***

كـــــم لهفـــــة نـــــسيتها أمـــــــاتنى مميتهـــــا
لقيتهـــــا! لقيتهـــــا يـــــا ســـــاعي البريـــــد

***

جـــــددتَ لى انتظـــــاري وقلـــــة اصـــــطباري
عـــــن طلعـــــة القطـــــار وطلعـــــه النـــــضيد

***

أكـــــرمْ بـــــه مـــــن ثمـــــر منتظـــــــرٍ مـــــــدخر
في كـــــل يـــــوم مزهـــــر مبتـــــــدىءٍ معيـــــــد

***

يـــا طائفـــاً بالـــدور كالقـــدر المقـــدور

بـــالخير والثبـــور في ســـاعة البريـــد

***

في لمحـــة تنتـــشر منـــك المنـــى والعـــبر

وأنـــت مـــاض تعـــبر كالكوكـــب البعيـــد

## عجب الساعى

عجـب (الـساعي) الـذي كنـتُ لـه

أبـــداً فى شرفتـــي منتظـــرا

إنَّ مـــن تُحـــضر لى أخبـــاره

أيهـــا الـــساعي بخـــير. حـــضرا

ألـــقِ إن شـــئت وطابـــاً حـــافلاً

لا أبـــالى لحظـــةً إن صـــفِرا

الطريـــــق الآن لا أرقبـــــه

لأرى وجهـــك. لكـــن لأرى ...

ولـــك الـــشكر، ولي العـــذر، فـــلا

تظهـــر الآن. فهـــا قـــد ظهـــرا

لا تـــــذكّرني نـــــواه بعـــــد مـــــا

كنـــت تـــروى عنـــه ذكـــراً عطـــرا

## الليلة الفطيم

بكـــت الليلـــة الفطـــيم شـــجاها

مـــا بكـــاءُ الفطـــيم بـــين الثـــدِيِّ

الثـــدِيُّ الحـــسان تبغـــي رضـــاها

مـــا لثغـــر الفطـــيم غـــير رضيِّ؟

لـــو أرادت لكـــان عنـــد مناهـــا

كـــل صـــدر، وكـــل نهـــد شـــهيِّ

أمهـــا! أمهـــا! ولـــيس ســـواها

ذات صـــدر عـــلى الـــشفاه نـــديِّ

***



obeikandl.com

ليلتـــي. ليلتـــي الحزينـــة صـــبراً

لـــيس هـــذا الفطـــام بالأبـــديّ

ســـوف تُـــروين مـــن أُمَيمـــك ثغـــراً

فارضـعي الآن مـن دمـوع الـشجي

واذرفي هـــذه المـــدامع غـــزرا ....

هـل يـضير البكـاء عـينَ الـصبي؟

مـــن أذاب الـــشقاءُ عينيـــه شـــهراً

فى ارتقـــاب النعـــيم غـــير شـــقي

## قبلة بغير تقبيل

بعـــد شـــهر- أنلتقـــي بعـــد شـــهر،

بـين جـيش مـن النـواظر جَجـر؟ (١)

لم يحولـوا- وحقهـم- بـين روحيـــ

ـــنا، وإن ألزموهمـا طـول صـبر

(١) الجيش المجر العظيم .

تمـــت القبلـــة التـــى نـــشتهيها

كلهـــا، غـــير ضـــم ثغـــر لثغـــر

تـــم منهـــا شـــوق، ورفٌ شـــفاه

وهـــوى نيـــةٍ، وخفقـــة صـــدر

## الحلم السالب

ســـبق الكـــرى يـــومَ اللقـــاء فنلتـــه

في غفـوة تغفـى العيـون لكـي تـرى

حلـــمٌ عـــلى اليقظـــات جـــار فليتـــه

في جـــوره أبـــداً يعـــود مكـــررا

لم يظلـــم اليقظـــات فهـــى إذا وفـــت

بلقائـه، سـلبته مـن حلـم الكـرى

مـــا وعـــده إلا ســـعادة حـــالم

فـالنوم كـان بـه أحـق وأجـدرا

## والحلم المنتقم

لمـــا تملَّيـــتُ فى الرؤيـــا محاســـنه

هتفـت لليـل والظلـماء والحلـم

هـذا انتقـام الكـرى مـن بـطءِ موعـده

وللكـرى ربـةٌ مـشكورة الـنِّقم

يغـار مـن طيفـه الـساري فيمطلنـي

كـأنما قـال لى بالمطـل لا تـنم

## فى البعد والقرب

لـن يطيـب البعـد يومـاً لـن يطيبـا

هـنْ عـليَّ اليـوم إن كنـت حبيبـا

لا تكـن نـاراً مـن الـشوق ولا

دمعـةً حـرى، ولا قلبـاً كئيبـا

لا تكـن صـحراء في البعـد وقـد

كنـت لى فى القـرب بـستاناً رطيبـا

إن تغـــب شمـــساً فـــأوص النـــوم بي

قبـــل أن تعـــرض عنـــي أو تغيبـــا

***

يـــا حبيبـــي- بـــل فكـــن مـــا كنـــت لى

صـــــانك الله بعيـــــداً وقريبـــــا

واجعـــــل الأنـــــس نـــصيبي فـــإذا

غبـت عنـي فاجعـل الـسهد نـصيبا

كـــــن نعـــــيماً وعـــــذاباً، ومُنـــــى

تمـــلأ الـــنفس، وحرمانـــاً مـــذيبا

هكـــذا الحـــب دوالَيْـــك فمـــن

لم يكنـــه، لم يكـــن قـــط حبيبـــا

## قـــراءة

عـلى كتفـى تمـشي بعينيـك في الطـرس

عجولاً إلى شعري حريصاً على لمسي

كأنـك لم تحمـد مـدى الـصوت وحـده

فـسابقته بـالعين حينـاً وبـالحس

وعـانقتني تـستوعب الـشعر حيـثما

سرى في ثنيَّـات الجـوانح والـنفس

هنـاك أدري أن للـشعر مجلـساً

إلى جانب العرش السماوي والكرسي

## تسلم

تـسلم هـذه الـدنيا كـما خلَّقتهـا عنـدى

وحاسـبها عـلى قـربٍ بـما تجنـي عـلى البعـد

***

تـسلم هـذه الـشمـ ـس التـي تـؤنس أو تهـدى

لقـد كانـت هـداها اللـ ـه مكـسالاً مـن المهـد

تجـوب الأفـق في جهـد ومـا تـسرع بالجهـد

وكانـت تحجـب الأنـو ار أو تُبـدى فـلا تجـدي

وكانـــت شـــعلة حـــرَّى  مـــن اللوعـــة والوجـــد

***

تـــسلَّم هـــذه الأطيـــا  ر واســـألها عـــن العهـــد
تُغَنَّـــي الآن فاســـألها  أغنَّـــت قـــط لي وحـــدي؟
وإن غنَّـــت فهـــل كـــا  ن ســـوى نـــوح لهـــا مُعْـــد
وانْ أعـــدَت فهـــل تُعـــدى  بغـــير الـــشجو والـــسهد؟
نعـــم ســـلها جزاهـــا اللـــ  ـــه: أيـــن تحيـــة الـــورد
وأيـــن تحيـــة الإلـــف  وأيـــن تحيـــة الفـــرد
لقـــد كانـــت لحاهـــا اللـــ  ـــه تطويهـــا عـــلى عمـــد
فـــسلها فـــيم تطويهـــا  وفـــيم تـــضن أو تـــسدي

***

تـــسلَّم أنجـــم الليـــل  بـــلا عـــدٍ ولا حـــد
تـــسلمها وكاشـــفها  بـــما تخفـــي ومـــا تبـــدي
وســـلها كيـــف ضـــلَّتني  ومـــا ضـــلت عـــن القـــصد
وفـــيم تغـــامزٌ منهـــا  إذا حـــيَّرني قيـــدى
نعـــم قيـــدى الـــذى في النـــ  ـــفس لا فى صـــفحة الجلـــد

أهـــزلاً تهمـــس الأنجـــ ـــم أم تهمـس عـن جـد!؟

***

تـــسلَّم زهـــرك المحبـــو ب في الـــسهل وفي النجـــد

تـــراه ضـــاحك العـــين تـــراه نـــاضر الخـــد

فـــسله مـــا عـــراه أمـــ ـــس حتـــى لاذ بالرشـــد

فـــلا يلهـــو ولا يُـــوصى بغـــير الهـــم والزهـــد

فـــما عـــن لومـــه في ذا ك يـــا مـــولاه مـــن بـــد!

***

تـــسلَّم هـــذه الـــدنيا كـــما خلَّفتهـــا عنـــدى

بحمـــد الله تلقاهـــا كـــما تلقـــاك بالحمـــد

فخـــذها راضـــياً عنهـــا وعنـــي وعـــن الـــود

وعلمهـــا إذا مـــا عـــدت - لا عـــدتَ إلى البعـــد

أمانـــاً في مغيـــب منـــ ـــك أو في محـــضَر رغـــد

فـــما تـــسمع لى قـــولاً إذا ناجيتهـــا وحـــدي!

## الفنجان

أتــؤمن بالفنجــان! لا يــا صــديقتي

بثغــرك لا الفنجــان أصــدق إيــماني

إذا هــو أعطــاني الــسعادة فلــتكن

نبوءتها في الكاس أو سؤر [1] فنجــان

وإن يكــن المغــزى هنــاك خرافــةً

فثغــرك صــدق في ابتــسام وتبيــان

وفي كــوثريٍّ مــن رضــاب معطــر

وفي جــوهريٍّ مــن ثنايــاه فتَّــان

## فربَى

تقــــرَّبي لله بالــــدعاء وأنت قُربَى الأرض والسماء

لـيس مكـان فى الـسماءِ كلهـا عــن شــاعر أو عاشــق بنــاء

ربَّ صــلاة علمــت مُــصّلياً إجابــة الــصلاة والرجــاء

ورفعت من طينـة الأرض إلى عــرش الـضياء سّـلَم ارتقــاء

(١) السؤر ما يبقى فى الإناء.

## كأس وضوء

هنا- ويا حسن ما ضمت هنا- قدحٌ

تُغوى قلوب العطاشى أيَّ إغواء

في كل قطرة ماءٍ ههنا أثرٌ

من قالب الحسن في روح وأعضاء

مرَّت بقدك تحكيه، وربّما

حكى الوضوء جمال الروح فى الماء

فلو تعود كما لامستها رسمتْ

مثالك المفتدى فى مهجة الرائي

تطهرْت بك لما أن طهرت بها

عند المصلَّى، وزادت حسن إيماء

وصافحت منك تقوى الروح فى جسد

يغزو التقاة بأشواق وأهواء

هذى خلاصةُ إنسان مقدسة

ليست خلاصة أعناب وصهباء

أخطىءٌ أنا إن أحسست فى كبدى

شوقين من نشوة فيها وإرواء

فكم أغالب من إغراء سكرتها

ما لا يغالبه ظمآن صحراء

تنازع الدين والغى الهيامَ بها

وقرّبتْ بين إسعاد وإشقاء

فليت شاربها يدرى أحصته

عند الخضيراء أم عند الحميراء [1]

خوفي- ويا طول خوفي- إن تمزقنى

كلتاهما يوم إحيائي وإحصائي!

## رقية السهر

تجلت آية الكرسـ ـيِّ، ما أعلاه كرسياً

اظّل سباتها عينـ ـيَّ حين لمست عينياً

(١) الخضيراء كناية عن الجنة الخضراء والحميراء كناية عن جهنم الحمراء.

أتـــرقبن مـــن الـــسهـ ـــد ومـا أبغـي لـه رقيـا؟

سروراً بـك هجـراني الـــ ـــكرى المحبـوب والرؤيـا

دعـي الرقيـة للـسهد الـذ ي يدعونـــــه نأيـــا

وللنـــوم الـــذى القـــا ك فيـــه حـــين لا لقيـــا

## المنديل

تعاشـــق لحمـــةً[1] وســـدى

ورفـــرف خافقـــاً غـــردا

وآخـــتْ طّرتـــاه[2] يـــدا

عـــلى عهـــد الهـــوى ويـــدا

وقَبـــل النـــسج كـــم ســـاغ الـــ

الـــصفاء ســـحابةً ونـــدى

ونـــاغى الطـــيرُ صـــاحبَه

عـــلى شـــجراته، وشـــدا

(١) لحمة الثوب ما نسج عرضاً وسداه ما امتد من خيوطه.

(٢) الطرة طرف كل شئ وحرفه.

وعاشـــت فى الـــرضى شـــجرا

تـــــه مخـــــضرةً أبـــــداً

فيـــــا منـــــديل لا تـــــبرح

بعهـــــد الحـــــب منعقـــــدا

عريـــــقٌ أنـــــت يـــــا منـــــد

يـــل روحـــاً فيـــه أو جـــسداً

إذا صـــــــنت الوديعـــــــة لي

فـــــلا بـــــدعاً ولا فنـــــدا

وإن تحفـــــــظْ أمانتهـــــا

حفظتـــــك أنـــــت مجتهـــــدا

سنـــــسأل عـــــن شـــــذاك غـــــدا

وبعـــــد غـــــد، وإن بعـــــدا

فـــــصنْ سرَّ الـــــسؤال لنـــــا

ولا تُخـــــبر بـــــه أحـــــدا

***

مـــــن الكتـــــان يـــــا نـــــسا

ج، فانـــسج كـــلَّ مـــا خلـــدا

وعَـــــى خلـــــد الفراعـــــــ

ـــين، وزان عروشـــهم أمـــدا

ومـــن يـــرضَ الحريـــرَ بـــه

بـــديلا ســـاء مـــا اعتقـــدا

فـــــماذا تنـــــسج الديـــــدا

ن مـــن ذكـــرى لمـــن ســـعدا

ومـــا الديـــدان والـــذكرى؟

ومـــن ذكَـــر اســـمها جمـــدا (١) !

هـــو الكتـــان يـــا نـــسا

ج، فانـــسج منـــه منفـــردا

***

(١) الحرير من نسج الديدان وهى تذكر الإنسان بالموت والقبر فيجمد من يذكرها خلافاً لمن يذكر الكتان فإنه يذكر الخضرة والطير والشدو والحياة.



obeikandl.com

يـــــومٍ كـــــان للمنـــــد

يـــل قُـــدِّس لُحمـــةً وســـدى

وقُـــــدِّس قبلـــــه مَـــــن أنـــــ

ـــــبت الكتـــــان أو حـــــصدا

وقُـــــدس مثلـــــه مـــــن قـــــا

م عنـــــد النَّـــــول أو قعـــــدا

وقُـــــدِّس كـــــل مـــــن نـــــادى

بـــــه في الـــــسوق، أو شـــــهدا

## حلم اليقظة

أيـــن مـــضى الحلـــم الـــذي كنـــــــت أراه ههنـــــــا

إذا صـــــحوت والتفـــــ ـــــت عـــن شـــمالي مَوْهنـــا [1]

كنـــتُ إذا مـــا قطَّعـــتْ نـــومَى صـــحواتُ الـــسهرْ

غبطـــتُ عينـــيَّ وأغـــضيـ ـــــت عـــن النّـــوم النظـــر

***

(١) الوهن والموهن من الليل بعد منتصفه أو بعد ساعة منه.

وكـــان عنـــدي حلـــماً  في يقظـــة الليـــل المديـــد
أســـمعُ مـــن أنفاســـه  نـــسمةَ فـــردوس بعيـــد

***

أســـعدَ ممـــا في الكـــرى  مـــن راحـــة ومـــن أمـــل
ومـــن خيـــالٍ لا يحـــدُّ  ومعـــان لا تُمـــل

***

فـــالآن أبـــشر يـــا كـــرى!  كـــل جفـــوني الآن لـــك
حتـــى أعـــود فـــأرى  في جـــانبى ذاك الملـــكْ

## ليلة

بينـــي وبينـــك ليلـــةٌ  يـــا ليلـــة القـــرب الأمـــينْ
يـــا حبـــذا لـــو تـــسرعـ  ـــين، وحبـــذا لـــو تطفـــرين
وإذا أتيـــت فحبـــذا  لـــو تلبثـــين فتخلـــدين

## عروس الليالى

عـروس الليـالى تهـبط اليـوم مـن عَـلِ

وتـدنو عـلى طـول النـوى والتـدلل

سَرَت بـين شرقٍ مـن ضـياءٍ ومغـربٍ

وبـين جنـوبٍ مـن ضـياءٍ وشـمأَل

كـــأني أراهـــا مـــن دُهـــور بعيـــدة

لطـول اشـتياقي وجهَهـا وتـأملي

فيـــا ليلـــة القـــدر المؤمَّـــل أقـــبلي!

تعـالَيْ اقَبِّـلْ منـك كـلَّ مقبَّـل

خـذى لـك جثمانـاً يـضُّمك عاشـقٌ

قليـــلٌ لديـــه صـــورة المتخيّـــل

وتيهـي بوجـه مـن صـباحكُ مُـشرقٍ

ومِـيلي بفـرع مـن مـسائك مُـسبل

سـأبديك شـعراً يمـلأ الـسمع شـدوه

إذا ضـنَّت الـدنيا بجـسم ممثَّـل

## ثرثارة

أراك ثرثـــارة في غـــير ســـابقهِ

فهات مـا شئت قـالاً منـك أو قِـيلا

مـا أحـسن اللغـو مـن ثغـر نقبلـه

إن زاد لغـواً لنـا زدنـاه تقبـيلا

## ثروة النصيب

منيتنـــي بـــالثروة الجلـــل

وبنيـــت لي داراً عـــلى عجـــل

وإذا (النـصيب) أصـابني احتفلـت

داري بحـــسنك كـــل محتفَـــل

حـــسبي إذا عـــز البنـــاء غـــدا

في ســـاحة بالـــسهل والجبـــل

دور تؤســـــسها وتعمرهـــــا

في ســاحـتين: الـحـب والأمـل

## قرنفلك

قرنفلك الذى يَحكيك حسناً ... أتعلم أنه يَحكيك سمتاً[1]

تعدد لونه فتجنبوه ... على حذر، ولم تحذره انتا

له عطرٌ شبيه هواك فرد ... وألوان من الإحساس شتَّى

## النجوم السواغب

أرى أعيناً قد وصوصتْ فى سمائها

أتلك النجوم الناظرات سواغب؟

موائد حب تشتهيها ودونها

مصاعب لا تجتازها وغياهب

نعمت بها فى ليلتي، وهى فوقنا

تمدُّ لها ألحاظها وتراقب

ومسكينةٌ هذى الكواكب في الدجى

ومسكينةٌ تلك الورود الشواحب

---

(١) السمت الطريق، وهيئة أهل الخير.

فهاك خذي من سؤر ما أنا شاربٌ

ثمالة كأسي كلها يا كواكب

وخذ يا نسيم الليل عشرين قبلةً

وخذ مثلها يا روض إنك غاضب

غنيٌّ أنا بالحب، عاش الذي به

غنيت، وإني إن غنيت لواهب!

## النيل الغاضب

أساهمٌ[1] يا نيل؟ لست أدرى! أم ناقم يا نيل طولَ هجري

فربَّ شهر مرَّ بعد شهر وعام سوء بعد عام شر

ولا بشفع زرت أو بوتر

***

لاقيتني يا نيل والحبيبا كما تلاقى طارقاً غريبا

وزدتنا كيداً لنا مريبا، أغريت يا نيل بنا الرقيبا

يكاد يحصي سره وسري

***

(١) سهم وجهه عبس وتغير.

وكيف يا نيل إليك حجى ولم أكن أخاف أو أرجِّي

بل كيف يهديني إليك نهجى وقد هوى نجمي وضلَّ بَرَجي

وعزَّ قرباني ولاح عذري

***

ذاك الذي كنتَ معى تراه غيري إليك ربما دعاه

فقد هداني كاهن سواه إليك يرعاني كما أرعاه

بعد ضلال فى الهوى وخسر

***

يا نيل أما الآن فالمزار عندي له المنسك[1] والشعار

فلا يغيب فى الدجى نهار أو ينجلي عن بدرنا السرار

ألا سرينا لك حين يسري

***

يا نيل فاشغل حولنا العيونا إذا وردناك مسبّحينا

تلك عيون تكره السكونا ومن يجبون ويسعدونا

لا رضيتْ عني ولا عن بدري

***

(١) مناسك الحج عباداته، وشعائره علاماته ومناسكه أيضاً.

## نجوى النجوم

بحسبى الأنجم الزُّهر ... فلا شمسٌ ولا بدر

ترينا عزلة النجوى ... ففيها للهوى سر

وفي لمحتها همسٌ ... كما يبتسم الثغر

كهمس الشيخ قد سُرَّ ... بأحفادٍ له سُرُّوا:

خذوا الدنيا خذوا الدنيا ... وغروا العيش واغتروا

دريت الحكمة الكبرى ... فأدراكم هو الغر

***

بحسبي الأنجم الزهر ... فلا صبحٌ ولا فجر

سواحر تنبىء الأحبا ... ب، والليل لها سفر

رصينٌ صوت نجواها ... وديعٌ حولها الدهر

لها ستر وما للشمـ ... ـس أو بدر الدجى ستر

لها الشكر فقد سرت ... حبيبي، ولها الفخر!

## كلماتي

كلـــــماتي! كلـــــماتي! صـــدق الوعـــد فهـــاتي
هـل معينـي وحيـك الـصا دق أو وحـــي اللغـــات؟
أنـــا اســـتأديك[1] مـــا لم تبلغيـــــه بـــــأداة
مـــن معـــان تتعـــالى عـــن لـــسان ولهـــاة[2]
فاسـألي الأربـاب عـن تلـ ـــك المعـــاني الخالـــدات
أو سلي الصمت فكـم صمـ ـــتٍ لـــه علـــم ثقـــات
ينتهـــي شـــأو الأحـــاد يـــثٌ إليـــه والـــرواة
وبـــــه لاذ هـــــداةٌ عرفـــوا وحـــى النجـــاة

***

انظـــري يـــا كلـــماتي وأصـــيخي في أنـــاة
مـــا ضـــياءٌ تَـــم في الأفـ ـــق، وفي كـــل الجهـــات
لا مـــن الأرض ولا مـــن دارة الأفـــــــلاك آت
لا تـــراه غـــير عينـــي وهـــو مـــلء الكائنـــات

(١) استأداه الشيء طلب منه أداءه.

(٢) اللهاة لحمة مشرفة على الحلق.

هـل يـرى الـدنيا امـرؤ لم يـرد منـه قبـسات؟
كلـماتي أنـت في وا د مـن التيـه شـتات [1]
اسـألى الأربـاب عنـه أو سـلى الـصمت وهـاتي

***

كلـماتي مـا تقولـ ـين اذن يـا كلـماتي
مـا نعـيمٌ يمـنح الكـ ـف غـذاء المهجـات
تقـصر الألبـاب عنـه وهـو بعـض اللمسات
فى يـدي أدعـوه خـصراً تـارةً أو زهـرات
في فمـي أدعـوه ثغـراً تـارة أو قـبلات
وفـؤادي؟ مـا اسم مـا فيـ ـه اذن يـا كلـماتي
اسـألى الأربـاب عنـه أو سـلي الـصمت وهـاتى

***

نـشوات تلـك؟ لا بـل تلـك فـوق النـشوات
يقظـات تلـك؟ لا بـل تلـك غـير اليقظـات

(١) الشتات المتفرق.

بلغـــت منهـــا مـــداها وارتقـــت مرتفعـــات

تـــسلس اليقظـــة للوصـــ ـــف وتـــصغي وتـــؤاتي

فـــإذا جـــازت مـــداها لزمـــت صـــمت الـــسبات

كلـــماتي! مـــا تقولـــ ـــين إذن يـــا كلـــماتي

أســـالى الأربـــاب عنهـــا أو ســـلى الـــصمت وهـــاتي

***

لحظـــة تمـــنح قلبـــي كـــل هاتيـــك الهبـــات؟

لحظـــة ترفـــع عمـــري حقبـــاً متـــصلات؟

ربَّ عمـــر طـــال بالرفـــ ـــعة لا بالـــسنوات

لحظـــة؟ لا بـــل خلـــود لاح بـــين اللحظـــات

كالـــسماوات تراهـــا مـــن شـــباك الحلقـــات

ربَّ آبـــاد تجلّـــتْ مـــن كـــوى[1] مختلفـــات

وقُطـــيرات زمـــان مـــلأَت كـــأْس حيـــاة

وإذا مـــا طغـــت الكـــأْ ـــس فقـــل في الـــسكرات!

(١) جمع كوة وهى فتحة فى الحائط.

سـكرة تُغـشى وأخـرى تغـتلى بالـصحوات

هكـذا بتنـا رفيقـين لزيَمْـى لـثمات

غائـبٌ غـافٍ، وصـاح لحفيـف الهمسات

كلـماتي. مـا تقوليـن إذن يـا كلـماتي

اسـألى الأربـاب عنـا أو سـلي الـصمت وهـاتي

***

أيـن أمـلاكٌ عـلى أبراجهـا المطلعـات

تـصقل الآفـاق في الليـل وتجلـو النـيّرات

لا أرى الـدنيا عـلى نـو ر الليـالي الغـابرات

أيـن؟ لا بـل نـدع الدنيـا وراء الحجـرات

نورنـا الليلـة مـصبا ح وليـد اللمحـات

غـض جفنيـه حيـاءً مـع غـضيض النظـرات

شـفقياً أو فقـل إن شـئت فجـريّ الـسّمات

عـسجداً بـارك حـسناً عـسجديَّ البركـات

سـبحتْ عينـى ونفـسي ويـدى في غمـرات

في كنـوز مـنهما أيٍّ كنـوز مغنيـات

ثـــروة أنفـــق منهـــا لحيـــاتي ومماتي

ولبعثـــي يـــوم أن تُبعـــ ـــث فى الطـــرس وُصـــاتي

كلـــماتي! مـــا أراك اليـــ ـــوم إلا خـــاذلاتي

عنـــك أغنتنـــي كنـــوزي وكنـــوزي ملهـــماتي

***

ســـمعتني كلـــماتي واســـتعادت دعـــواتي

ثـــم قالـــت في حيـــاءٍ كالعـــذارى الخفـــرات

بـــاح لى الـــصمت ولكـــن فـــاتني أيَّ فـــوات

قـــال ســـاموك عـــسيراً في التمنـــي يـــا بنـــاتي

ارجعـــي، ثـــم أعيـــدي، ثـــم عـــودي صـــاغيات

مـــرة أو عـــشرات وإذا أســـطعت مئـــات

مـــا بـــدرس واحـــد تُـــو فـــين هاتيـــك الـــصفات

هكـــذا يـــا شـــاعري ألـــ ـــهمني الـــصمت فهـــات

هاتهـــا وافـــرح باحـــسـ ـــاني وراقـــب حـــسناتي

لا يبـــوح الـــصمت إلا درجـــاتٍ درجـــاتِ

***

كلـــماتي! صـــدق الـــصمـــ ـــــت. أجـــل يـــا كلـــماتي

غـــــير أني لا أعيـــــد الأَ مـــــــس إلا بـــــــصلاة

مرجـــع الأمـــر لمـــن ضمـــ ـــــت رجـــائي وشـــكاتى

يملـــك العـــودة مـــن أحيـــا مـــــن الأرض المـــــوات

فـــابعثي الـــصمت إليهـــا فى خـــــــشوع وتقـــــاة

ربـــــما أعطـــــتْ وإن لم تـــــسألى يـــــا كلـــــماتي

## يوم يبحث عن ذكراه

يومٌ بحثنا عن تاريخه لنحتفل بذكراه فإذا اليوم الذى خطر لنا فيه هذا الخاطر هو يوم الذكرى بعينه، فكانت مصادفة فمن أعجب المصادفات:

لم يطـوه الـزمن المـاضي ولا احتجبـت

في ذمـة العـام بعـد العـام سـيماه

خلنـاه في الغيـب منـسياً فـذكَّرنا

بنفـسه اليـومُ في إلهـام نجـواه

قمنـــا لنبحـــث عنـــه في صـــحائفنا

فكـــان مـــيلاده ميعـــاد ذكـــراه

يـــا يـــومَ أول لقيـــا بيننـــا عرضـــت

ثـــم انطـــوى عهـــدها حتـــى بعثنـــاه

نعـــم بعثنـــاه فى حـــب إذا ذهبـــت

مزيـــة العمـــر لم تـــذهب مزايـــاه

مبـــاركٌ يـــومُ عيـــد في عواقبـــه

لم يـــسهُ عنـــا ومـــا كنـــا لننـــساه

لمـــا بحثنـــا لنلقـــاه ونـــذكره

إذا بـــه باحثـــاً عنـــا لنلقـــاه!

سرٌ مـــن الله فى روحـــين مـــا برحـــا

مـــن قبـــل لقياهمـــا يرعاهمـــا الله

## هبوط النفس

إذا هبطـت نفـسي فلـم تبلـغ الـذُرى

من الحب فارفعها، وكن أنت عـاذرا

فللحـــب أوجٌ في العـــلا قلـــما ارتقـــى

بنـــو الأرض إلا مُرتقـــى منـــه نـــادراً

وددت لـــــو أني لا أفـــــارق أوْجَـــــهُ

ولا استوي فى الأرض، لو كنت قـادراً

ولكنهـــا حـــربٌ مـــع الـــدهر لم يـــزلْ

بهـا القلـب مقهـوراً هنـاك وقـاهرا

فـــلا تحـــسب القلـــب المـــشرَّد غاضـــباً

ولا عاتبـــاً، واحـــسبه اســـوان حـــائرا

وإن تـــكُ يومـــاً في الـــصعود مـــؤازري

أكـــن لـــك يومـــاً في الـــصعود مـــؤازرا

ولـــست عـــلى مثـــواي في الأرض نادمـــاً

إذا كنتَ لي نجـــماً عـــلى الأفـــق ســـافرا

## سحر السراب

هـــذا سرابـــك جنـــةٌ تُغـــرى  يـــا فـــاتنى بـــالقرب والـــذكر

صحراء بُعدك ما خلت أبـــداً  مـــن كـــوثر في أفقهـــا يجـــري

لكنــه يغــري ولــيس بــه ريٌّ، وعنــدك لجــة النهــر

وإذا الــسراب خَلــتْ كــواثره مــن مائهــا لم تخــل مــن ســحر

فافتن بذاك وذاك يـصفُ لنـا أمــن المقـيم، ولهفـة الـسَّفْر[1]

## عالمنا

فيـا لحـب والـشعر والإخـلاص عالمنـا

دعنـا مـن العـالم الموبـوء بالـدنس

إذا نظــرت حوالينــا فلــستَ تــرى

إلا الــسماوات في مــرأى ومُلْــتَمس

## هجـو

هجوتـك في بيتـين جهـدي فـلا تخـف

وســلني، فــإني قائــلٌ لــك بيتــين:

---

(١) السفر المسافرون. والمعنى: إن فى البعد سحراً كسحر السراب الذى يفتن بالشوق والأمل ولكنه لا يروى، وإن للقرب فتنة الري ولكنه لا لهفة فيه. ومن عرف الفتنة بالسحرين جمع بين أمن الإقامة ولذة السفر.

أقـــول رعـــاك الله إنـــك محنـــةٌ

وطول عناء حين تغـرب عـن عينـي

وقلـــتُ ومـــا أتممـــتُ بيتـــين إننـــي

شـقيٌ بـما ألقـاه منـك عـلى البـين

## هجو آخر

هـــذا الـــدلال علامـــا؟ أكـــان حـــتماً لزامـــاً؟!

تغيـــب عنـــي فيمـــسي يـــومى مـــن الـــدهر عامـــا

وإن ســـمحت بقربـــى قـــصَّرت لى الأيامـــا

تزهـــى بهـــذا، فهـــلاً خـــشيت فيـــه الملامـــا؟

## الوساوس

أنـا سـاهرٌ والليـل دامـس ويـل المحـب مـن الوسـاوس

ومـــن الغـــد الخـــافي ومـــا مـــن زحفـه المـأمون حـارس

ومـــن الـــذي بـــالأمس كـــا ن، وريبُـه فى الـصدر هـامس

ومـــن الـــذي تُخفيـــه تلـــ ـك الأعـين الـسود النـواعس

ترنـــو إليـــك وخلفهـــا ... في القلـب سرٌ عنـك خـانس

ودع الغيـــاب ومـــن يجـــا ... لس في الغيـاب ومـن يـؤانس

ودع الحفـــول ومـــن يُـــرا ... قص فى الحفول ومـن يلامـس

يـــا لهفتـــا إن قيـــل لا ... هٍ بيـــنهم أو قيـــل عـــابس

هـــــذا وذاك كلاهمـــــا ... راضٍ بـــه قلبـــي وبـــائس

***

لا تنـــــأ عنـــــي إنَّ لى ... فى كـل نـأي ألـف هـاجس

هـــى مـــن شـياطين الظـلا ... م وأنت مثـل الـصبح شـامس

اشرقْ عليهـــا ينـــصرفْ ... منهـــا المـــسالم والمـــشاكس

لا ضـــير عنـــدي أن تعيـــ ... ـــس إذا انجلى ليل الوساوس

## رجاء اللقاء

رجـائي بـأن ألقـاك بـدَّد وحـشتي

فكيـف إذا أمـسيت أنـت مؤانـسى

أراك فتنجـــاب الوســـاوس كلهـــا

وأنـت إذا مـا غبـت كـل وسـاوسي

## شكوك العاشق

رأى ابناً في الكرى زهقا ... فهبَّ مروَّعاً قلقا

يضم وليده ثقة، ... وينسى أنه وثقا

ويخفق قلبه فزعاً، ... ويفزع كلما خفقا

إذا ما خاف ذو شغف ... فذاك المارد انطلقا

***

كذاك الشك في قلبي ... إذا ما طاف أو طرقا

أكذّبه، ويحزنني ... كأن نذيره صدقا

فديتك لا تعدِّي الحز ... ن من ذنبي ولا الفرقا

فمالي بالخيال يدٌ ... إذا ما خال أو خلقا

يوسوس لي فأسمعه، ... كذلك كل من عشقا!

## صفقة مغبونة

أراني في غرامك لا أجازَى

وان جازيتني حباً بحب

ألم يسع الزمانَ الرحبَ قلبٌ

وهبتكه، وقلبك غير رحب؟

فكيـــف وعنـــد قربـــك لي شريـــك

ومـا لـك مـن شريـكٍ عنـد قـربي؟

جهلـــتُ الحـــب إن أعطيـــت قُلبـــا

يقـيم عـلى الوفـاءِ، بنـصف قلـب

## بلدى

أمحـــل الـــدهر واطَّـــردْ ... لا خمـــــيسٌ ولا أحـــــد

لا انتظـــــارٌ لموعـــــدٍ ... أو هيـــامٌ بمـــن وعـــد

كـــل أيامنـــا تـــسا ... ويـــن في الوســـم والعـــدد

صـــبحها مثـــل ليلهـــا ... والتقـــى أمـــسها بغـــد

تـــنقص العمـــر كلهـــا ... وبهـــا العمـــر لم يُـــزد (١)

لم تـــزد ماضـــياً وقـــد ... نقـــصت مقبـــل الأمـــد

***

قـــد رجعنـــا كـــما بـــدأ ... نـــا فـــما الخـــوف والكمـــد؟

كـــان لى الحـــزن موطنـــاً ... فتباعـــــدت، فابتعـــــد

(١) يوم السعادة الذى يمر بالإنسان هو يوم ينقص من العمر ولكنه يزيد في ثروة الماضى، أما يوم الشقاء فإنه ينقص العمر ولا يزيده فى ماض أو حاضر.

ثـــم عـــدنا فهـــل تـــرى  واجـــداً خـــاف مـــا وجـــد

بلـــدى أنـــت بي أبـــ  ـــرٌ، فـــلا بنـــتَ ولا بلـــد

## ميناء قلب

نـــم قريـــر العـــين والـــنفس فـــما

لك في قلبي سوى الحب الطهور

أنـــا إن لم أكـــرم الـــصاحب في

غيبـــةٍ، اني إذن جِـــدُّ كفـــور

***

أنـــت مينـــائى إذا البحـــر طغـــى

واكفهـر الليـل، واستعـصى العبـور

هـــب بـــه بعـــض صـــخور اتُـــرى

انقـض الـسوار حـولي والجـسور

لا وحبـــي! بـــل قـــصاراي إذن

إننـــى أعـــرف هاتيـــك الـــصخور

فـــإذا جاورتهـــا جاوزتهـــا

غـافراً مـا شـئت، والحـب غفـور

بـــــل أراني شـــــاكراً لا غـــــافراً

وشـــــبيهان غفـــــورٌ وشـــــكور

***

ثـــم قريـــر العـــين والخـــاطر يـــا

أكـرم الأحبـاب فى الـدنيا الغـرور

لا تخـــف في الغـــد شراً مـــن أخ

وَدَّ لـو ينجيـك مـن مـاضي الـشرور

في أمـــانٍ أنـــت منـــى وأنـــا

فى أمـان منـك، والـدهر يـدور

أنـــا أدرى بـــك مـــن نفـــسك يـــا

طـــاهر النيـــة في كـــل الأمـــور

إنـــما تخطـــىءُ مـــن حـــب إذا

أخطـأ الإنـسان مـن غـشٍ وزور

ويـــحَ قلبـــي أنـــا إن أحزنـــت مـــن

هـو في الحـب عـلى الحـزن صـبور

كـم قـسا منـى وكـم جـار الهـوى

والهـوى منـك رحـيم لا يجـور

لـك مـن عطـفٍ شـفيع دائـم

وشـفيعى عنـدك الوجـد الشَّؤور

نـم قريـر العـين والخـاطر لا

قـرَّ ذو ضـغن ولا نـام غيـور

خـلِّ جهـل النـاس فى ظلمائـه

واجـلُ لي حبـك نـوراً فـوق نـور

## فوق الحب

صـاحبي مـن سروره وسروري

في صـفاء الزمـان يلتقيـان

وصـديقي مـن اسـتجدَّ سرورا

مـن سروري، وإن تنـاءى مكـاني

وحبيبـى مـن قلبـه كـيفما كـا

ن، وقلبـي فى الـشجو يـستويان

فالـــذي يرتـــضي العـــذابَ لأرضَى

كيف أدعـوه؟ مـا اسـمه في البيـان؟

ذاك فـوق الحبيـب إن كـان فـوق الحـ

ـــب شيءٌ يُرجـى مـن الإنـسان

ذاك فيـــه مـــن صـــبغة الله سرٌ

جـلَّ عـن صـبغة الوجـود الفـانى

## سريان روح

لا تـــسلني متعـــبٌ أنـــت فـــما

تتعـــب الأرواح في عُليـــا الـــسماء

بجنـــاحين مـــن الحـــب ومـــن

حـسنك الخـافق، ينقـاد الفـضاء

طـرت لا أشـكو المـدى مـن تعـب

حـين صـاحبتك في ذاك المـساء

لم أكـــن ألمـــس أرضـــاً إنـــما

كنـت أسرى حـين أمـشي في ضـياء

## توكيد

أحـــدِّث نفـــسي بـــالفراق وأخـــشاه

كـــما تقـــذف الأم الوليـــد لتلقـــاه[1]

هـــو الـــشيء لا تـــدرى بفـــرط وجـــوده

ولا حبـــــه إلا إذا غـــــاب مـــــرآه

## جواز الحياة

قالت: جوازك؟ قلـت هـاك! حـــب أنـــال بـــه رضـــاك

فـــدخلت في خـــدر الحيـــا ة وراء الفـــاف الـــشباك

أبـــرزْ جـــوازك تقتـــسم دار الحيـــاة عـــلى اشـــتراك

أو لا فأنـــــت ببابهـــــا أبـــداً تحـــوم بـــلا فكـــاك

## الخرافة الصادقة

دعنـــى أثـــوب إلى العـــراف أســـأله

فالحـــب علمنـــى صـــدق الأســـاطير

---

(١) الأم إذا قذفت بابنها فى الهواء ثم تلقفته شعرت بالخطر عليه ثم شعرت به بين يديها فكان فى ذلك توكيد وجوده ومضاعفة السرور بالأمن عليه.

جـلا عجائـب دنيـا لا نظـير لهـا

فى زعـم مختلـق أو وهـم مـسحور

فـإن أبـتْ مؤمنـاً بالـسحر لا عجـبٌ

هذا هو الـسحر فى حـسي وتفكـيري

## علم الحب

إذا سـاءت الـدنيا ففـى الحـب مهـرب

وتحـسن دنيـا مـن أحـاط بـه الحـب

فبالحب تـدري الحـسن والقـبح عنـدها

وفي الحـب علـم لا تعلِّمـه الكتـب

## الثوب الرشيد

فرحـات قلبـك بالجديـد ... مـن فرحـة الطفـل الـسعيد

أخجِلـتَ بـالثوب الرشيـ ... ـق وأنـت صـاحبه الفريـد؟

هـو لا يعـاد فـما لقـدِّ ... ك مـن معيـد فى القـدود

خـلّ الحيـاء لمـن يلـو ... مـك وأحـلُ أنـت كـما تريـد

أولى بالاسـتحياء مـن ... عـذل الجـمال عـلى المزيـد

كـــل الثيـــاب لمـــن يـــز ... يـــن ثيابـــه عـــفٌ حميـــد

فـــافرح بحلتـــك الجميـــ ... ـــلة فالجميـــل هـــو الرشـــيد

لـــو ترتـــدي ثـــوب الوقـــا ... ر وهيبـــة العمـــر المديـــد

للبـــستها فرحـــاً بهـــا ... كالطفـــل في الـــزي الجديـــد

## عمر شعر

شعري القديم عشقته وحفظتـه ... وحييـت فيـه حقيقـة وخيـالا

وجديد شعري إن نظمتُ فـإنما ... لك بت أنظمـه، وفيـك تـوالى

فكأَنَّ حبي كـان عنـدك كلـه ... رهنـاً بحـسنك مبـدأ ومـآلا

فاحرص على قلب أباحك ماضياً ... منـه وحـاضره والاسـتقبالا

## الحياء فى الحب

صـن مـن حيائـك مـا يـذكّرنا عـلى

طـــول التـــآلف أننـــا جـــسمان

واخلـــع حيـــاءك يـــوم ينـــسى أننـــا

قلـــبٌ تفـــرَّد مالـــه مـــن ثـــان

الحـــب أجمـــع حـــين تعلـــم سره

في ذلـــك التـــذكار والنـــسيان

قلـــبٌ يرفـــرف في جـــوار قرينـــه

لا القلـــب مبتعـــد، ولا هوفـــان

متفـــرقين ليعطيـــا، فـــإذا التقـــى

حظاهمـــا فـــسروره ضـــعفان

ويلـــذ بـــالثمر الجديـــد كلاهمـــا

كـالحور تحـت عـرائش الرضـوان

## عنـــاب

أيهـــا المـــانع الرســـائل عنـــى

هـل يكـون الوفـاء كُتبـاً بكتـب

هـب ردودي ابطـأن عنـك فقـل لى

مـن أقـال البريـد مـن كـل ذنـب؟!

لا التحـدى، ولا التـشاغل، يُـرَضى

مـن حبيـب معاتـب، أو محـب

ضـامنٌ أنـت إن تـسلّفت عـذري

حـسن ظـن بـالود أو، حـسن عتـب

## لقاء شجى

هـل عجـبٌ فى الحـب بـرح الأسـى

بعـد ابتهـاجي بلقـاءِ الحبيـب؟

هاتيـك نفـسى اسـتجمعت نفـسها

فابـسط لهـا عـذر اللبيـب الأريـب

لا تجمـــع الأنفـــس أجزاءهـــا

مـا بـين نـابٍ حولهـا أو مجيـب

إلا أطالـــت نظـــرات لهـــا

فـيما بـدا منهـا وفـيما يغيـب

يـا رحمـةً للقلـب مـن نـشوة

يـشابه النـشوان فيهـا الكئيـب

## مولد

### أو نشوء وارتقاء

زانـــك الله بـــصفو وســـلام يـــا شـــتاء

طـــال بي فكـــر الليـــالى أو مـــا فيـــك عـــزاء؟

***

قـــال لي: هـــاك فخـــذها زهـــرة منـــي إليـــك
ذات حـــسن وحيـــاء ولهـــا فـــضل لـــديك
وُسـمتْ بـالفكر (١) فـاقبس فكـــرة فى راحتيـــك
قلـــتُ حقـــاً يـــا شـــتاء هـــى حـــسن وحيـــاء
غـــير أني، وهـــى صـــمت، لـــيس لي فيهـــا عـــزاء

***

قـــال يرضـــيك إذن شـــا د مـــن الطـــير مُجيـــد
هـــو للجنـــة (٢) يُـــدعى ولـــه منهـــا نـــشيد
يعـــشق النيـــل وإن لم يـــك فيـــه بوليـــد
قلـــت حقـــاً يـــا شـــتاء هـــو حـــسن وغنـــاء
غـــير أني، وهـــو صـــوتٌ لـــيس لى فيـــه عـــزاء

***

قـــال يرضـــيك إذن ســـا ر مـــن الـــبرق بـــشير
يـــصدع الظلـــماء، يزجـــى عـــارض الغيـــث، ينـــير

(١) المقصود- كما يظهر من هذا الوصف- زهرة الثالوث المشهورة بزهرة البنسيه وهى كلمة ترادف بالفرنسية كلمة (الفكرة) وتظهر هذه الزهرة فى الشتاء.

(٢) عصفور الجنة.

فيــه مــن قلبــك نــبض ومــن اللمــح ســمير
قلــت دعنــى يــا شــتاء مــن شــعاع في فــضاء
أإذا جــاد بغيــث كــان لي فيــه عــزاء

***

قــال: والــشمس؟ فــما ظنــ ــك بالــشمس ذكــاء [1]
كــما عــدتُ بهــا سبَّــ ــح عــشاق الــسماء
قلــت حقــاً يــا شــتاء هــى نــور ورجــاء
غــير أني، وهــى صــبح، مــا عزائــي في المــساء؟

***

قــال لى انفــدتُ كنــزي كلــه بــين يــديك
غــير ذخــر مــن بنــى الإنــس ــان أبقيــه عليــك
فيــه مــن صــبح ومــن ليــ ــل قــصارى غايتيــك
أتَــراه؟ قلــت حقــاً هــو فى الــدنيا العــزاء
هــو حــبٌ وحيــاة وربيــع يــا شــتاء

***

(١) فى أساطير الأقدمين إن الشمس تولد مرة فى أوائل الشتاء.

مـــن بنـــي الإنـــسان فى ذ ... ات شـــــــتاءٍ وُلـــــــدا
زينـــة للعـــين واللـــــ ... ـــــب وللقلـــب بـــدا
طـــاهر كالمزنـــة البيـــضا ... ءِ صـــــاف كالنـــــدى
كبنـــات الـــروض مفتـــ ... ـــنُّ الحـــلى جـــم الحيـــاء
وارفٌ كالظـــل مُحـــ ... ـــي فِي شـــــذاه كـــــالهواء

***

يـــا شـــتائي فـــيم اخفـــا ... ؤك ذاك الـــسرَّ عنـــي
أي روض؟ أي بـــــرق؟ ... أي شـــمس فيـــك أعنـــى؟
أنـــا مـــستغن بـــه عنـــ ... ـــها فـــماذا عنـــه يُغنـــى؟
قـــد تعلمـــتَ وأتقنـــ ... ـــتَ أفـــانين الـــسخاء
منـــذ عـــشرين وخمـــس ... مـــن ســـنى الـــدهر ســـواء

***

تـــمَّ عنـــدى كـــل مـــا تعـــ ... ـــطي إذا تـــم العطـــاء
وجميـــلٌ كـــل بـــدء ... ينتهـــي خـــير انتهـــاء
وجميـــل زهـــرك النـــا ... مـــي عـــلى هـــذا الـــنماء
صـــدق العلـــم وقـــال الحـــ ... ـــب حقـــاً يـــا شـــتاء
ســـنة الزهـــر نـــشوءُ ... فى المعـــاني وارتقـــاء

## إساءة مشكورة

إليــك منــى الــشكر حتــى عــلى

إســاءة اللقيــا غــداة الــسفر

أغــضبتنى منــك فــأنجيتني

مــن لوعــة الهجــر وطــول الــسهر

إذا التــوى الــصبر عــلى عاشــق

تَعــرَّضَ العتــب لــه فاصــطبر

مــا ذاكــر اللجــة ريــاً لــه

كــذاكر اللجــة فيهــا الخطــر

ولهفــة الظــامىءِ ترياقهــا

أن ينظــر الغــصة فــيما انتظــر

## عروس الشعر

### فى البعد

عــروس شــعرى أجيــدي ... فى البعــد نظــم القــصيد

فــيم الــسكوت؟ أمــا مــن ... وحــي؟ أمــا مــن نــشيد؟

أوحْــىُ ثغــر لثغــر ... أو لا صــدى مــن بعيــد؟!

أمـــا ســـمعت بـــبرقٍ مـــستحدث أو بريـــد؟
وناقـــل مـــن أثـــير وســـكة مـــن حديـــد
بُـشرى إذن ألـف بـشرى بيـــوم قـــرب ســـعيد
إلى المزاهـــر هُـــزِّى أوتارهـــا مـــن جديـــد
ورنِّمـــي واســـتعدى ورتـــلّي واســـتعيدي

## صنوف حب

عرفـــت مـــن الحـــب أشـــكاله

وصـاحبت بعـد الجـمال الجـمال

فحـــبّ المـــصور تمثالـــه

عرفـتُ! وحـب الـشباب الخيـال

***

وحـــب القداســـة لم أعـــدُه

وحـــب التـــصوّف لم يعـــدُني

وفى كـــل حـــب وَرَى زنـــده

ســـماتٌ مـــن المـــؤمن الـــدِّين

***

وحـــب المزخـــرَف والمنتَقـــى

وحـــب المجـــرَّد والعاطـــل

وحـــب الجـــماح، وحـــب التقـــى

وحـــب المجـــدد والناقـــل

***

وحـــب الثقـــاة وحـــب الـــصحا

ب، وحـــب الطبيعـــة في حـــسنها

وحـــب الرجـــاءِ وحـــب العـــذا

ب، عـلى يـأس نفـسى مـن حزنهـا

***

وحـــب التـــي علمتنـــي الهـــوى

وحـــب التـــي أنـــا علمتهـــا

ومـــن أســـتمد لـــديها القُـــوى

ومـــن بـــالقوَى أنـــا أمـــددتها

***

وحـــب الجيـــاع صـــحاف الطعـــا

م، وحـب الظـماءِ كـؤوس الـشراب

وحـــب الكفـــاح وحـــب الـــسلا

م، وحب الـضلال وحـب الـصواب

***

صـــنوفٌ مـــن الحـــب لا تلتقـــي

وفيـــك التقـــى لبُّهـــا المحتـــوى

فلـــولا هـــدى نورهـــا الأســـبق

لمـــا كنـــتُ كفـــؤاً لهـــذا الهـــوى

# صفـات وتأمـلات

obeikandl.com

obeikandl.com

## ليالى رأس البر

منـــاظر مـــن ســـحر الجـــمال أراهـــا

ولـــولا ســـناها قلـــت كنـــت أراهـــا

تلـــوح كـــذكرى حـــالم يـــستعيدها

لعمـــق معانيهـــا، وبعـــد مـــداها

فمـــن عـــالم النـــسيان فيهـــا مـــشابهٌ

وفيهـــا مـــن الـــسلوى جميـــل رضـــاها

ليـــال بـــرأس الـــبر تَنْـــدَى وداعـــةً

ورقـــة أشـــجان، وطـــاب نـــداها

وداعـــةَ ذات الـــدَّل شـــاب فؤادَهـــا

شوائب مـن هجـر، فـراض صـباها

***

ليـــال بـــرأس الـــبر طـــاب نـــداها

وشـــفت دياجيهـــا ورقَّ ســـناها

هنـا النيـل سـاجٍ طـال في الـدهر سـيره

وطالـــت مرامـــي نبعـــه فـــسلاها

هنا البحور ثـوار الـدهور عـلى الكـرى

ويطغى فـلا يحمـى النفـوس كراهـا

إذا استرســلت أصــداؤه في اطِّرادهــا

ترســلت الأحــلام مــلءَ مناهــا

هنــا عــالم الــسلوى، هنــا العــالم الــذي

تحـس الليـالى فيـه همـسَ خطاهـا

هنــا العــالمُ المــشهود ذكــرى قديمــةٌ

وذكــراك دنيــا لا تــزال تراهــا

فلــولا حيــاتي في عروقــى أحــسها

لقلــت نعــيم الغــابرين طواهــا

***

جمالــك- رأس الــبر- فى زي ناســك

إذا ضاحك العين الضحوك شـجاها

لياليــك- رأس الــبر- في صــومعاتها

مناســك ضــلّت في الظــلام هــداها

صـحابك- رأسَ الـبر- أطيـافُ نـائم

تـساوى لـديها صـبحها ودجاهـا

عناهـا الـذى يعنـي النيـام مـن الـرُّؤى

ولم أر جهـــداً فى الحيـــاة عناهـــا

حياتــك- رأس الــبر- طفــلٌ مجــدد

ســقته ثــدىُّ الخالــدات جناهــا

فــلا تحرمينــا رشــفة الخلــد كلــما

فنينــا، وكــم تُفنــي الجــسومَ نُهاهــا

بحـــسبيَ مـــن أبنـــاءِ آدم إن صـــفا

لنـا العـيش يومـاً، إن تكـفَّ أذاهـا

## شرفة مصر

### فى رأس البر

ينتهـــي الـــبرَ ههنـــا أو هنـــا البـــدء أوَّلا

نحـــن في بـــاب شرفـــة أن تكـــن مـــصر منـــزلا

نـــترك الأرض خلفنـــا ونـــرى البحـــر مقـــبلا

كالـــذى يهجـــر الـــديا ر إذا ارتـــاض واخـــتلى

مـــصر مـــن خلفنـــا ولا مـــصر مـــن صـــوبنا ولا ..

حبـــذا (الـــرأس) شرفـــة ومـــــصيفاً ومـــــوئلا

فرجـــة الـــنفس كلـــما عافـــت الأرض والمـــلا

## خبر الربيع

يأيهـــا الـــورق المخـــضرُّ في شـــجر

عهدي وما فيـه مـن ذي خـضرةٍ أثـر

من أين أقبلـت؟ بـل مـن أيـن أقبـل فى

عيدانك العـوج ذاك العطـر والزَّهـر

إنـــا ســـألنا، ولـــو عـــاد الـــسؤال إلى

فحـوى الـضمائر لم نعرفـه يـا شـجر

ســلنا بحقــك مــن أيــن اســتجدَّ لنــا

هذا السرور الـذي في القلـب ينتـشر

كلاهمـــا طـــارقٌ طـــاف الربيـــع بـــه

عـــلى بـــراق مـــن الأنـــوار ينحـــدر

ســـلهُ فـــإن لم يُجـــب فـــانعم بمقدمـــه

وافـرح بـه، وانتظـره حـين يُنتظـر

إذا أجـــاب بأزهـــار مفتَّحـــة

وبالـسرور، فحـسبي ذلـك الخـبر

## الوجود!

## لا تنازع الوجود

ليس السر الأكبر هو تنازع الوجود بل السر الأكبر هو الوجود نفسه كيف كان وما الذي يبعث إلى التنازع فيه؟ فتعليل أطوار الحياة بالتنازع تعليل بشيء يحتاج هو نفسه إلى التعليل. وأنت لا تعطيني الكنز إذا وصفت لي صراع الطامعين فيه، وكذلك لا تعرّفني سر الحياة وكنزها المخبوء إذا وصفت لي تنازع البقاء:

(نـــزاع بقـــاء) فـــصلّوه وعـــددوا

ورامـوا بـه سر الوجـود فابعـدوا

أيوجـــد مخلـــوق ليحمـــي نفـــسه

من الخلق؟ أم يبغي الحمى حين يوجد؟

هـو الـسر كـل الـسر أنـك كـائنٌ

وأنك تبغي الكون[1] والكـون مجهـد

(١) الكون مصدر كان وهو الوجود.

فــلا تُحــص ألــوان النــزاع فــإنما

هنا السر والكنز الذي عنـك يوصـد

أمعطــيَّ كنــزاً إن عرضــتَ لنــاظري

صراعــاً عــلى أعتابــه يتجــدد؟

## تجربتي

تجربتـــي! أيـــن أنـــت تجربتـــي؟

يــا كتبــي. أيــن أنــت يــا كتبــي؟!

لم تمنعنـــــي دمعـــــة تؤججهـــــا

في القلـب نـار العـذاب والغـضب

إليـــك عنـــي! فلـــست مانعـــةً

حـــزني، وقـــد تمنعيننـــي طـــربي

وقـــد تـــشوبين لي الـــصفاء ومـــا

تُـصفين عيـشي مـن كـدرة الرِّيـب

لهفـــي عـــلى غـــرة أعـــيش بهـــا

غفـلان، والفاجعـات عـن كثـب [1]

لهفـــي عـــلى جُنّـــةٍ أهـــيم بهـــا

مقهقهـــاً بـــين فـــادح النـــوَب

## قربان القرابين

مـــا في القـــرابين ولا الأعيـــاد

أبـــرُّ في اللـــب وفى الفـــؤاد

مـــن يـــوم حـــبٍّ بالحيـــاة شـــاد

مـــدّخرٍ منتظـــر الميعـــاد

تبذلـــه للمـــوت والحـــداد

رعيـــاً لمـــن بـــاتوا عـــلى وســـاد

مـــن الثـــرى في غـــير مـــا رقـــاد

وقطعـــوا فى القـــبر كـــل زاد

(١) عن قرب.

## الفن الحى

## أو الحياة الفنية

خـذ مـن الجـسم كـلَّ معنـى، وجـسّم

مـن معـاني النفـوس مـا كـان بكـرا

حبـذا العـيش يبـدع الفكـر جـسما

نجتليـه، ويبـدع الجـسم فكـرا

ويـرى الفـن كالحيـاة حيـاةً

ويـرى للحيـاة فنّـاً وشـعرا

ضـلَّ مـن يفـصل الحيـاتين جهـلا

واهتـدى مـن حـوى الحيـاتين طـرا

## عمر السعادة

إن السعادة هى الكفاية! والاكتفاء بدء التحول والاستغناء، فكأنما السعادة تغرينا بالتحول عنها حين نملكها... فإن لم تُغرنا بذلك فهي كالنور الذى ينبسط على الحياة فيرينا منها أخفى العيوب، فتخلق لنا أسباباً كثيرة للنفور من الدنيا بعد إن كانت تلك الأسباب خافية علينا،

إذ نحن نريد الدنيا أبداً رفيعة جميلة كما صورتها لنا السعادة، ولو لم تصورها لنا على ذلك المثال لقنعنا من الدنيا بالقليل:

ثق بالرهان على عمر الزجاج ولا

تثق بعمرٍ سعيدٍ طال أو قصرا

لعل أسعد حيٍّ أنت مُصبحه

يموت قبل نزول الليل منتحرا

وفى السعادة ما يُغري بفرقتها،

إن الكفاية تكفى من رأى ودرى

وربما شوهت دنياك أجمعها

إذا رأيت بها عيباً، وإن صغرا

## العراف

من عهود مجهولة وديار

هى أخفى من عمره مستقرا

حمل اللحية التى تنسج الد

هر، وتبديه للنواظر شَعرا

هــو غيــبٌ فكيــف لا يعلــم الغيــ

ــب، ودهــر فكيــف يجهــل دهــرا

خلفــه للزمــان سر، فهــل يطــو

ى غــدٌ مــن أمــام عينيــه سرا؟

في خفايــا المجهــول عــاش فــسله

عــن خفايــا المجهــول ينبئــك جهــرا

## التقديس

عــارف التقــديس رو حــيٌ، وإن قــدس جــسما

ومهــين الجــسم جــسمـ ــيٌّ، وإن كــان (بَرْهمــا)

أنــت بالتقــديس تــسمو لا بــما قدســتَ تُــسمى

وهــى الأعــين لا النــو ر التــي تجلــو، وتعمــى

## يوم شتاء

يــوم بيــتٍ لا يــوم خــوض الــدياجي

فــانجُ مــا بــين صــفحة وسراج

وجمـــالٍ مـــن النفـــوس يُنـــاجى

في أســـــارير وجهـــه وينـــاجي

مـــــستهلَّين والطبيعـــــة غـــضبى

وكلانـا مـن هولهـا الـصعب نـاج

نتحـــدى الريـــاح والليـــل والأهـــو

ال طـــراً بـــصفحة مـــن زجـــاج!

فـــإذا مـــا يـــروع منهـــا ويـــضني

نتلقـــــاه ههنـــــا بابتهـــــاج

كالـــذي يـــشهد الكـــوارث فنـــاً

مـــن فنـــون التمثيـــل والإخـــراج

## السـرور

منـع الـسرورَ حِـذارُ قلبـيَ قبلـه

أن لا يـــتم، وبعـــده التنغيـــصا

ويزيـــدني كلفـــاً بـــه وضـــنانةً

ألا يبـــاح- إذا أبـــيح- رخيـــصا

## القديس

أن يجهل الناس ما القديس في خلق

فأنت وحدك قدِّيس السماوات

لا مانح الخير كلُّ الخلق تحمده

أو مانح الخير مجزياً بجنات

أو مانح الخير يرويه ويرسله

في حاضر من سواد الناس أو آت

منحت خيرك تأبي أن يذاع، وقد

تخشى عقوبته في يوم ميقات

منحتَه من سخاءٍ لا جزاءَ له

إلا مسرة وهَّاب المسرات

تلك القداسة حقاً لا قداسة من

يزدان بالعرف في سمت وإخبات [1]

تلك القداسة من نور وإن سُترت

كأنها الذنب في ليل الخطيئات

(١) الإخبات هو التخشع.

## نسختان

خـذ مـن رجائـك نـسختين ولا تُـصن

أبـداً رجـاءك فى كتـاب[1] واحـد

فـإذا التـوت إحـداهما عـن قـصدها

لم تخطـئ الأخـرى سـبيل القاصـد

## العزاء جمدّ

غنيـتُ عـن العـزاء، وهـل عـزاءٌ

لمـن قبْـل رأى المـصابا

تـسلّفتُ الفجـائع في ارتقـاب

وحـسبي أن أهوِّنهـا ارتقابـا

لقـد هانـتْ خطـوبي حـين باتـت

حيـاتي كلهـا خطبـاً عُجابـا

فـإن شـئتم فعـزُّوا في حيـاتي

مجازفـةً، ولا تحـصوا الحـسابا

(١) الكتاب هنا بمعنى الرسالة أو المكتوب أو (الخطاب).

## مناجاة الدنيا

يقول الحي: إن كانت غاية الحياة موت فالدنيا هى الخاسرة، والحي لا يشعر بخسارة فقد الحياة.

وتقول الدنيا: إن حياً يجيء يغنيها عن حي يروح، وبذلك تبقى ينابيع الحياة، فلا خسارة عليها.

ويقول صوت خالد لا صوت الأحياء ولا هو صوت الدنيا: إن الفناء يصيب الدنيا كما يصيب الأحياء، فليس هناك عنصر مكتوب له أن يُفني أبداً أو يَفنى أبداً، وإنما كل كائن له دور فى الإفناءِ ودور فى الفناءِ:

إن تكن غايةُ سعي الحي موتٌ ... فيك يا دنيا فأنت الخاسرة

أو يكن بعد فناء الميْت عيشٌ ... فيك يا دنيا فأنت العامرة

نحن إن عدنا إليك الخاسرون

***

قالت الدنيا: بحيٍّ بعد حي ... أنا استبقى ينابيع الحياة

فامكثوا فيَّ نفوساً أو تراباً ... ما على الحالين عندى من شكاة

إن ذهبتم فكما كنت أكون

***

قال صوت ليس بالدنيا ولا هو بالناس ولا غيرهما

فيه منها ثم منهم أثرٌ ثم من شيءٍ سرى بينهما

كلُّنا نحن حياة ومنون

كلنا يَفنى ويُفني ويصون

كلنا مفترقون. كلنا متحدون!

obeikandl.com

# متفرقـــات

obeikandl.com

obeikandl.com

## إلى الأستاذ مكرم[1]

يـا مـن أسـى جـرح مـصر فى ضـمائرها
جراحُ جسمك تأسو مصر شكواها
إذا شـــكا مكـــرمٌ فدّتـــه أمتـــه
كـــما رعاهـــا وحياهـــا وفـــدّاها
الله والنيـــل قـــد صـــانا وقـــد عرفـــا
مـــن لـــيس يعـــرف إلا النيـــل والله

## تهنئـــة

ولـــدى في البيـــان والأدب ... تلك قربى مـن أكـرم القُـرب
كن أباً واستمع نـداءك مـن ... كـــل نجـــل بـــذلك اللقـــب
فـــإذا حفّـــك البنـــون بـــما ... شئت مـن بهجـة ومـن لعـب
وإذا مـــا بلغـــت فى عقـــب ... فـوقَ مـا قـد بلغـت فى نـسب
وإذا مـــا ارتقيـــت في رتـــب ... أبـــداً ترتقـــي إلى رتـــب
كان لى الفخر أنْ دعوتـك يـا ... ولـــدي، أو دعـــوتني بـــأبي
إنَّ في حـــافظ[2] لمفخـــرة ... لذويـــه وصـــحبه النجـــب

(١) وجهت إلى الأستاذ النابغة مكرم عبيد حين إجراء العملية الجراحية فى المستشفى القبطى.

(٢) قيلت في تهنئة الأديب المهذب حافظ جلال بخطبته.

## تقريظ

لـــك شـــعر يحكـــي سريـــرة نفـــس

رُكِّبـــتْ مـــن صراحـــة ونقـــاء

جُبلـــتْ كـــالفراش في أمـــة الطـــ

ـــير خفوقـــاً بـــين النـــدى والـــضياء

واســـتوت في الحيـــاة فـــوق جنـــاح

مـــستطار الخطـــى رقيـــق الغـــشاءِ

فتعهَّـــدْ حـــدائق الـــشعر والـــبس

حلـــل الـــروض، واطَّلـــع فى الـــسماءِ

وانـــشد النـــور في جوائـــك واطلـــب

بعـــدها الـــشمس في رحيـــب الفـــضاءِ

أنـــت يـــا طـــاهر[1] الفـــؤاد جـــدير

مـــن محبيـــك بالرضـــا والثنـــاءِ

لـــك يـــومٌ مـــوفٍ بأجمـــل ســـعى

وغَـــدٌ مقبـــلٌ بخـــير رجـــاءِ

(١) هو الشاعر الأديب طاهر الجبلاوى، والأبيات نظمت فى تقريظ ديوانه (ملتقى العبرات).

## أسود يلتحى

ألـيس كفـى هـذا الـسوادُ فزدتَـه

سـواد غـراب في لحـاك معلـق؟

سريـت بـرأس لا حـدود لوجهـه

فـما زال فيـه الليـل بالليـل يلتقـى

ألا فـانتظر حتـى تـشيب فقـد تـرى

سـوادك محفوفـاً بـأبيض مـشرق

وأخلـقُ أن يرتـادك الـشيب حالكـاً

على حالك، لـو كـان يجـري بمنطـق

## نبوءة أو[1] وسواس

يـا نبيَّـي العزيـز! أنـت نبـيٌ غلبتـه وسـاوس الـشيطان!

غلبته الـشكوك لا عـن بيـان نـاطق الهـدى، ولا برهـان

موجساً من خيانة في ثنايا الغـ ـيب، والغيبُ صـارم الكـتمان

(١) تنبأ أحد المصدقين بقراءة الأفكار عن بعد أن هناك خيانة ستقع دون تعيين المكان وشخص الخائن. والشاعر يقول فى هذه القصيدة أن هذه النبوة لا تعدو القول بأن الخيانة موجودة فى الناس، وهذا شيء نشترك فى علمه أجمعين.

دلّه حدسه عليها وما دلّ ... على موضع لها أو زمان

أو على آثم جناها وأخفى ... سرها عن رقيبه اليقظان

قل لنا السر كله يا نبيي ... أو فها نحن فى الهوى سيان

أعرف الناس خائنين فهلاً ... زدت شيئاً عليَّ في العرفان

يا نبيي، فاشرح لنا أنت ما قد ... كان، لا ما يكون في الإمكان

## البيلا[1]

البيلا. البيلا. البيلا ... ما أحلى (سُلب البيلا)

***

هاتوا البيلا وأسقوني ... هاتوا البيلا. داووني

الطب (ودينـي) يوصيني ... بالبيلا، تحيا البيلا!

البيلا. البيلا. البيلا ... ما أحلى البنت البيلا!

***

(١) البيلا أى البيرة... والقصيدة منظومة فى طفل صغير تعبت معدته فوصف له الطبيب مقداراً قليلاً جداً من الجعة يشربه بين حين وآخر. فألف الطفل الجعة واستطابها وأصبح يهش لها ويؤثرها على الحلوى والفاكهة. وفى القصيدة تمثيل له على هذه الحالة يجمع نقيضي أمره. فهو يتكلم تارة كأنه رجل كبير وتارة كأنه طفل صغير.

مـــا لى ومـــا للـــشكولاتا تمـــشى لي تاتـــا تاتـــا
بطـــلٌ مـــثلي هيهاتـــا بـــالحلوى ينـــسى البـــيلا
البـــيلا. البـــيلا. البـــيلا أبـــداً لا أنـــسى البـــيلا

***

يـــوم رضـــاعي خـــدعوني بـــالبيلا لم يـــرووني
مـــن ثـــديي لا تـــسقوني أســـقوني، أســـقوني البـــيلا
البـــيلا البـــيلا البـــيلا هـــاتوا لي كـــأس البـــيلا

***

اخطـــف كـــأسي بـــالكفين خطـــف المفطـــوم الثـــديين
إن أغمـــض عينيـــه الثنتـــين فتحـــت عينـــيَّ البـــيلا
البـــيلا البـــيلا البـــيلا (نـــور العينـــين) البـــيلا

***

بـــالبيلا كنـــت حكـــيماً أرضى بـــالمر علـــيماً
طمعـــاً فى الـــصبر وفـــيما يحلـــو مـــن وعـــد البـــيلا
البـــيلا البـــيلا البـــيلا مـــا أحـــلى وعـــد البـــيلا

***

قـالوا الـسكران العربيـد!  عربيـدٌ أنـا بالتأكيـد

ارقـص، وأُغنـي، وأُجيـد  في سـاعة (سـلب البـيلا)

البـيلا البـيلا البـيلا  غنـوا في نخـب البـيلا

***

لقبـي في صـحبى (هِمَّـا)  ظلمـوني في اسـمى ظلـما

إن نـادوا البـيلا يومـاً  اغلـطْ في اسـمي والبـيلا

يحيـا (هِمَّـا) والبـيلا  البـيلا البـيلا البـيلا

# هجـــاء

obeikandl.com

obeikandl.com

## هجاء الدهر

اباســـــمٌ تُغنـــــي؟ لُعنـــــتَ شرَّ لعـــــن
وإن عـــــداك المثنـــــي خـــــذ الثنـــــاءَ منـــــي

يا دهر وامض عني

***

كـــن عابـــساً قطوبـــا أو ضـــاحكاً طروبـــا
مـــا أشـــبه الموهوبـــا عنـــدك والمـــسلوبا

إليك! دعني دعني

***

مـــا أقـــبح اللئـــيما مبتـــسماً كظـــيما
أدنـــى إليـــه ســـيما إن يُبـــتلى دمـــيما

يعوي ولا يُغنِّي

***

أمـــانحى الـــسرورا؟ خـــذه وبـــن مـــدحورا
لـــو لم أكـــن موتـــورا أشـــكو الأذى المقـــدورا

ما شاقنى بحسن

***

أيـــن الجـــمال أينـــا؟ كـــلُّ الجـــمال منَّـــا

إن شـــئت لا إن شـــئنا فقـــرَّ أنـــت عينـــا

وخلّنا في أمن!

## خنزير أعجف؟

فيـــه خنزيريـــة ظـــاهرة مـا نفاهـا عنـه ذاك العجـف

هـــو خنزيـــر ولكـــن شـــابه جـــسدٌ في وضـــعه منحـــرف

## اللؤم خالد

يا عـصبة اللـؤم مهـلاً بعـضَ غـيرتكم

فـــاللؤم لا ينقـــضي إن لم تُجلـــوه

ســيخلد اللــؤم في الــدهر اللئــيم وإن

أذلـــه أهلـــه- لؤمـــاً- وملّـــوه

# رثـــاء

obeikandl.com

## نصيب الحي والميت

يـا صـديقي لنـا البكـاءْ ولـك المـوت والـسلامْ
عنـدنا النـور والعنـاء! عنـدك النـوم والظـلام!
لـيس يأسـى أخـو فنـاء بـل أخٌ بعـده إقـام

***

أتبُـع الـصحب في القبـور يبكـائي، ومـا اهتـديتْ
أنـا لـو دام لي الـشعور بعـد مـوتي لمـا بكيـتْ
عـالمٌ كلـه غـرور عـشتُ مـا عـشتُ أو قـضيتْ

***

هالـكُ كـلُّ مـا يكـون تـستوى الـنفس والـصفاةْ
فلمـن تحـصد المنـون ولمـن تـزرع الحيـاة؟
بـدأت حكمـة الجنـون وانتهـت حكمـة الهـداة

## رفيق الصبا

رفيق الصبى المعسول أبكيك والصبا

وما كان أغلى ما بكيت وأطيبا

وآذن فيـــك الـــصبر إن لا يعيننـــي

وآذن فيـــك الحـــزن إن يتغلبـــا

أألقـــاك عنـــد النيـــل إن عـــدت فى قنـــا

وأرعاك عند الجسر إن سرت مغربا؟

ونستنـــشد الأَشـــعار فى كـــل ليلـــة

ونطلـــب في كـــل الأحاديـــث مطلبـــا

ونحـــــسب إن الله لم يخلـــق امـــــرءاً

عـــلى الأرض إلا كـــي يقـــولَ ويخطبـــا

ونحـــصي عـــلى الـــدهر الـــبريءِ ذنوبـــه

ومـــا كـــان إلا مازحـــاً حـــين أذنبـــا

أألقـــاك؟ بـــل هيهـــات قـــد حالـــت المنـــى

فـــأقربُ منهـــا أن أصـــافحَ كوكبـــا

إذا عـــدت اســـتحيى الـــشبابين فى قنـــا

وجـــدتك رســـماً فى الـــتراب مغيّبـــاً

وســـاءلت عنـــك الـــصحبَ أيـــن مـــزارُه

وأذريـــت دمعـــاً عنـــد قـــبرك صـــيَّبا

***

عجيـبٌ لعمـري مـوُت كـل محبّـب

إلينـا، وقـد كـان التعجـب أعجبـا

حـسين! عرفـت المـوت فيـك غريبـة

وما تعرف الدنيا سوى الموت مـذهبا

أَمَنْ هو فى ذِكِـرى فتـى العمـر ينطـوى

كما طـوت الأسـقام شـيخاً مغـذَّبا؟

نعم ينطوي الشبان والـشيب فى الـردى

ورب فتـيٍّ فى الـردى فـات أشـيبا

وسـيان في عقبـى الطـريقين مـن مـشى

على عـصويه مـن عيـاءٍ، ومَـن حبـا

عهدتك في شرخ الصبى نـاضر الـصبى

وفاجـأني النـاعي فأجفلـت مُكْـذِبا

ألا ليتـــه لم يعـــرف الـــصديق عمـــره

ولم يـــك إلا كـــاذب الظـــن مُغربـــا

***

رفـــاقَ حـــسين أبنَّـــوه وأطنبـــوا

فـما يخطـىء البـاكي سـجاياه مطنبـا

لقـد كـــان ميمـــون النقيبـــة صـــالحاً

وكـــان أمـــين الـــسر والجهـــر طيّبـــا

وكـــان عفيـــف القـــول لا يقـــرب الأذى

ولا يـــذكر الأخـــوان إلا تحببـــا

وكـــان عـــلى كنـــز القناعـــة آمنـــاً

وإن قـــصّر المـــسعى بـــدنياه أو نبـــا

إذا اســـتمرأتْ مرعـــي الخيانـــة أنفـــسٌ

تحـــرَّجَ منهـــا مُعرضـــاً وتحوّبـــا

وكـــان عزيـــز الـــنفس فى غـــير جفـــوة

ولا صـــلف منـــه، إذا صـــد أو صـــبا

وكـــان ســـميراً يملـــك الـــسمع كلـــما

تبـــسّط في أســـماره وتـــشعَّبا

أديبـــاً يـــصوغ الـــشعر والنثـــر فطـــرة

ويـــؤثر في الآداب مـــن كـــان معربـــا

أليفـــاً وفيـــاً لا يفـــارق صـــاحباً

ولا منـــزلاً إلا انثنـــى فتقرَّبـــا

احـبَّ قنـا واسـتعذب العـيش في قنـا

فلـم يُغـره عـيش، وإن كـان أعـذبا

لـــئن ذكـــر الوافـــون عهـــد ولائـــه

لمـــا ذكـــروا إلا الـــوفيَّ المهـــذَّبا

***

رفـاق حـسينٍ أسـهبوا فيـه واذكـروا

رفيقـاً لـه يعتـاده الحـزن مـسهبا

عـلى كثـب منـه اجتمعـتم فليـت لى

مكانـاً مـن الجمـع القنـائيَّ مكثبـا

كـــأَني وقـــد فارقتـــه قبـــل يومـــه

ســمعت لــه نعيــين يــوم تغيبــا

***

إذا مـا رثـى المحـزون ألـف شـبابه

رثى قلبهُ شـطرا مـن القلـب مخـصبا

وودع مـــن عهديـــه فى العمـــر قِبلـــةً

أخـــفَّ عـــلى الـــرّواد زاداً وأرحبـــا

إذا جازهـــا أودى بمختـــار عيـــشه

ولم يبـــق إلا مـــا اتقـــى وتهيبـــا

***

أليف الصبى لا تشكُ فى الموت وحشة

فما زال ركب الموت أحفل موكبا

تعاقبـــت الأجيـــال تحـــت لوائـــه

وإن بعـــدوا داراً وعهـــداً ومأربـــا

ومـــا الـــزمن المحـــضور إلا بقيـــةٌ

مـن الـزمن الماضى تلاقـت لتـذهبا

عليـــك ســـلام الله حتـــى يظللنـــا

سـلامٌ أظـل النـاس شرقـاً ومغربـا

## تذييل

### فى إسم الديوان

جاءني بعد أن نشرت مقدمة هذا الديوان فى الصفحة الأدبية بالجهاد استفهام من بعض الأدباء يسألنى فيه بلهجة لا تخلو من الاعتراض: هل يحرم إذن على الشاعر المصري أن يذكر البلبل وما إليه؟ وهو سؤال لا محل له لأنني لم أحرم ذكر البلبل على الشعراء المصريين، وإنما قلت: (من العجيب أنك لا تقرأ صدى للكروان فيما ينظم الشعراء المصريون على كثرة ما يسمع الكروان في أجوائنا المصرية من شمال وجنوب! وأعجب منه أنك لا تقرأ فيما ينظمون إلا مناجاة البلابل وأشباهها على قلة ما تسمع في هذه الأجواء).

فالذي يلام عليه الشاعر أن يدع طائراً مغرداً جميل التغريد لاشك فى وجوده وكثرته في الأجواء المصرية ثم يجعل شعره من هذا النحو وقفاً على فصائل من الطير توجد عندنا فى بقاع محدودة أو لا توجد إلاَّ أيام الهجرة العارضة.

فالطائر المعروف باسم البلبل يقيم عندنا بين الفيوم وبنى سويف ويتفرق على قلة فى أنحاء الصعيد، وقلما يصل إلى القاهرة والأقاليم الشمالية.

أما الطائر الـذى يقـرأون عنـه في الآداب الأوروبيـة أو الفارسـية ويحسبونه (البلبل) فليس هو البلبل المصرى (أولاً) ولكنه إما أن يكـون العندليب أو الهزار أو فصيلة أخرى، وهذه الفصائل - بعدُ - مهـاجرات يندر أن تنطلق بالغناء على سجيتها أثناء الهجـرة المـصرية. فمـن التقليـد المعيـب أن تخـص العنـادل والبلابـل بالوصـف والإعجـاب ونهمـل الكروان وهو مقيم فى جميع أجوائنا ومنه فصائل ترود بلادنا كما يرودهـا غيرها، ولا يُفهم من ذلك إلاَّ أن الناظم يطرب عـلى المحاكـاة ولا يفقـه لماذا يكون الطرب لغناء الأطيار.

## كلمة شكر

لا أختم (هدية الكروان) قبل أن أشكر للمصور البارع الأستاذ رمسيس أفندى يونان تلك الصورة الغلافية التى تجلى فيها ذوقه السليم واقتداره الفنى فى الرسم والتخيُّل. وقد ارتضيت رسم الكروان بمنقاره الدقيق الطويل على أنه تصرف تسوغه الزخرفة كما تسوغ تدقيق الحروف الكتابية وتطويلها. أما الكروان الذى يقيم فى مصر فله منقار يخالف هذا المنقار.

كذلك أشكر للأستاذ رفقى مصور الهلال رسمه الطبيعى الذى يراه القارئ على الصفحة الأولى من الديوان، ولا يفوتنى شكر رؤساء المطبعة وعمالها على إتقانهم المعهود.

# فهرس


| الموضوع | الصفحة |
|---|---|
| مقدمة | ٤٢ |
| الكروانيات | ٤٧ |
| غزل ومناجاة | ٧٧ |
| صفات وتأملات | ١٥٠ |
| متفرقات | ١٦٧ |
| هجاء | ١٧٥ |
| رثاء | ١٧٩ |
| تذييل | ١٨٦ |
| كلمة شكر | ١٨٨ |




obeikandl.com